

المسحاة

مجلة

المجلد العاشر
الجزء الثالث والرابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

﴿ المجلد العاشر ﴾

١٦١

﴿ الجزء الثالث ﴾

بؤن الحسنة من يشاؤون بؤن الحسنة تصدأوني
خبراً كبيراً ومبايداً سكر الألو الألباب

المجلد
١٣١٥

بؤن الحسنة من يشاؤون بؤن الحسنة تصدأوني
خبراً كبيراً ومبايداً سكر الألو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوي ووه منارا « كنار الطريق »

﴿ مصر ربيع الأول سنة ١٣٢٥ - آخره الاحد ١٢ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧ ﴾

تاريخ المصاحف

هذا ما وعدنا بنشره عما كتبه صاحبنا موسى افندي جارا لله الروسي قال
قال العلماء أول ما نزل من القرآن « اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من
علقه اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ولم ينزل بعده شيء
إلى ثلاث سنوات (وتسمى هذه السنوات زمن فترة الوحي) ثم أخذ القرآن ينزل
في ثلثين سنة (وقرأنا فرقاه لقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا
- الأسراء - كذلك لتثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا - الفرقان) فنه ما نزل مفردا وهو
غالب القرآن ومنه ما نزل جمعا كالقائمة والأخلاص والكوثر وأغلب الأنعام . وكما
نزل عليه صلى الله عليه وسلم آية أو سورة وسري عنه كان يقرئ الصحابة ما نزل
ويستحفظونه فيحفظونه على الفور عن ظهر قلب ويستون بذلك تمام الاعتناء لان
الحفظ الحرفي في عصر الرسالة وزمن النزول كان من أعظم العبادات وأقرب القرب
وكانوا إذا حفظوا آية من النبي عليه السلام يترددون عليه غير مرة ويتلوها امامه
حتى يزداد تثبتهم من حفظها وادائها ويسألونه هل حفظت كما أنزلت حتى يقرهم عليها
وبعد إتمام الحفظ والتثبت في تمام الضبط أخذ كل واحد منهم ينشر ما حفظ : كانوا
يعلمونه للأولاد والصبان وللذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من أهل مكة
والمدينة ومن حولهم من الناس فلا يمضي يوم أو يومان الا وما نزل محفوظ في صدور
جماعة غير محصورين وقد عين جماعة عظيمة من الصحابة على حفظ القرآن واقراءه
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل الهجرة جماعة من حفظة الصحابة
يطمئنون القرآن لأهل المدينة وأولادها وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه
النبي عليه السلام إلى رجل من أولئك الحفظة يعلمه القرآن ، ولما فتح مكة ترك فيها
معاذ بن جبل لذلك وكان من أكابر الصحابة - وهم ألوف - من يتني بعرف فقه
القرآن ومطايبه واقائه حفظا وكتابة . كانوا لا يأكلون نهارهم ولا ينامون ليلا باهتمامهم
واشتغالهم بضبط الآيات وحروفها ووجوها وكان يسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم صيحة وزجل بتلاوة القرآن وكان النبي يسمع إلى الملا منهم ويحمد الله على ان
جعل في أمته أمثالهم

ورجل صفيا الأتيم العلم لا تظن القرآن في صدر الإسلام حفظه ألوف من

الصحابة في تضاعيف عشرين سنة

وحيث ان القرآن كان ينزل مفرقا متجما ويحفظه الذين يعتنون به على مهل ومكث في تضاعيف سنوات كثيرة وذلك أعون في الحفظ وإيسر للذكر وأكثر من حفظه كان شرع في حفظه من صباه وزد عليه ما كان للنبي عليه السلام المصنوع من نسيان القرآن من كمال الاعتناء والاهتمام بالترغيب في حفظه والامر بتعاهده - فكل من تأمل أدنى تأملا، يتبين ويقطع ان القرآن قد حفظ في الصدور أيام الاقان وارسخ الحفظ وآتم السبط وكامل البيان، وقد نطقت الاحاديث ودلت الآثار على ان النبي عليه السلام كان يوقف أصحابه على ترتيب آيات السور ويعلمهم مواضعها من السورة نصا، وكان يقرأ السورة في الصلوات وغيرها ويسمونه فيعرفون من ذلك ترتيب الآيات فالصحابة ضبطت عنه عليه السلام ترتيب أي كل سورة ومواضعها كما ضبطت عنه قس الآيات وتلاوتها. وكان السور مرتبة لحديث أحمد وأبي داود في تهذيب القرآن وحديث وائله في اعطاء السبع الطوال والمئين والمئاني بدل الكتب الثلاثة السبوية التفضيل بالحواميم والمفصل والاحاديث تدل على ان النبي عليه السلام كان يحتم القرآن وان الصحابة كانوا يختمون عنده عدة ختمات وكل ذلك يدل دلالة واضحة على ان القرآن كان محفوظا في صدور ألوف من الصحابة مجموعا مرتبا على ترتيب معلوم عند كل واحد منهم. قال معاذ عرضنا القرآن على النبي عليه السلام فلم يبق منا أحدا

وكانت للنبي عليه السلام كتبة يكتبون فورا كل ما نزل اليه على الصحائف والقراطيس من الرقود والاوراق غالبا وعلى الألواح وعصب النخل أحيانا. كان النبي عليه السلام يولي عليهم مباشرة بقول ان هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا. وكان كتابة ما نزل من القرآن ملتزمة منهم حتى زمن الاختفاء في أوائل الاسلام اذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف في البيوت، وكان المشركون يدعون الدراسة اذ ذاك الهينة (١) من شواهد حديث عمر قبل اسلامه مع أخته وختمه وكانت العرب تكتب كل شيء قيس أو مهم عندهم كالأشعار الفصيحة والخطب البليغة. من شواهد ذلك القصائد المعلقة والصحيفة التي أكلتها الارضة. وكان كثير من الصحابة لهم علم بالقلم وكان أنس بن مالك يقول هذه أحاديث سمعتها من

(١) إنسان ما كانوا يسمون كل قراءة هينة بل القراءة الحقة والهينة الصوت الحفي

رسول الله وكتبها وعرضها، وكثير من هؤلاء كانوا يكتبون في المصاحف كل آية حفظوها ويعرضونها على النبي عليه السلام، وعين من هؤلاء جماعة على كتابة الوحي كانوا متمكنين من الكتابة باللسان العربي كل التمكن كعلي وعثمان وعمر وزيد بن ثابت وابن مسعود وأنس بن مالك وعبد الله بن سلام وغيرهم فكان النبي يلي عليهم مباشرة فيكتبون ما نزل بحضرة ويعرضونه عليه مرة بعد أخرى حتى يقرهم. بهذه الكيفية كتب القرآن من أوله إلى آخره في حياة الرسول على صحائف وقراطيس متفرقة، وكانت هذه المصاحف والقراطيس أغلى عندهم من أنفسهم وأفس من كل نفيس وأحب إليهم من كل حبيب جليس. يدل عليه أحاديث روينها في ثقاتهم في حفظ هذه المصاحف والقراطيس وفي حبهم التبرك بها أحياناً في المجالس.

وكل ما ذكرته عن شأن حفظ القرآن في الصدور وما أجمته بعد ذلك في كيفية جمعه في المصاحف واثبتته في السطور يدل دلالة قطعية باهرة على أن القرآن زمن النبي عليه السلام كان مجموعاً مرتباً على ترتيب معلوم، محفوظاً في الصدور، مكتوباً على ترتيب الحفظ في السطور، والأحاديث متضافرة متساعدة في ذلك ولأن أهمل الحفظ والكتابة والترتيب من النبي ومن ألوف مؤلفة من الصحابة الذين يتيقنون أن السبب في عزهم وسماحتهم هو القرآن، وأنه هو أساس دينهم وشريعته، وأنه هو الذي يقربهم إلى الله عز وجل والذين كانوا يبذلون جميع ما يستطيعون وما يتصوره العقل في سبيل حفظه كما نزل مصوناً عن أدنى شائبة الإهمال من مثل هؤلاء - شيء محال لا ريب فيه.

ثم توفي رسول الله يوم أكمل الله لنا ديننا ورضي لنا الإسلام ديناً والإسلام قد ظهر في جميع جزيرة العرب وفيها مدن وقرى كثيرة كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضر وربيعة وقضاة والطائف ومكة كلهم قد أسلم وبوا المساجد ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حلة أعراباً ولا قد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والنساء وكتب. ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كذلك ليس بينهم اختلاف في شيء أصلاً كلهم أمة واحدة ودين واحد ومقالة واحدة ثم تولى الأمر أبو بكر ستين وستة أشهر فقرأ فارس والروم وفتح البصرة وزادت قراءة الناس القرآن وجمع الناس المصاحف جمعاً متبداً كأبي وعمر وعثمان وعلي وزيد وأبي

زيد وابن مسعود وسالم. ولم يكن بين المسلمين اختلاف في شيء من خلافته، وما كان من ظهور الأسود الغساني في صنعاء ومسيلمة بالجماعة واتقسام العرب أربعة أقسام: طائفة ثابتة على الطاعة، وطائفة مائة للزكاة، وطائفة معلنة بالردة، وطائفة متوقفة متربصة لمن تكون القلبة. فقد أخرج إليهم أبو بكر البعوث، وجهر إليهم عصاية من المسلمين قتل الأسود ومسيلمة ولم يعض عام واحد حتى راجع الجميع الإسلام. فلم تكن هذه الفتن إلا كنار اشتعلت فانطلقت للساعة. فبعد أن سكنت هذه الفتن أحس عمر الفاروق بضرورة جمع القرآن في كتاب واحد على مشهد من جميع الصحابة وملاً من الحفظ والكسبة. ولما استقر رأي أبي بكر وعمر على ذلك أحضرا زيد بن ثابت وأبدياه ما عزماء. واستعظم زيد ذلك أولاً واستسهل قتل الجليل شأن كل مقتدر على عظام الأمور. يقدر الأمر حق قدره، محتاط عاقل لا ينفعل عما يلزم عليه في القيام بأعظم المصالح عن كمال الاقتدار وواجب الاحتياط وعظيم الثبوت وبالغ الجهد والاجتهاد ووفور السعي، غير مغتر بما له من الحصال وإن كان فرداً مفرداً قائماً على أقرانه وأهل عصره. ووافق أخيراً فعزم على ما عزم عليه. والإنسان مهما بلغ في الاقتدار وعلو الهمة قد يكون إذا وقع عليه أمر عظيم وعزمه وتصوره من جميع وجوهه غير غافل عن وسائل تحصيله وأسباب الوصول إليه. يمتريه طبعاً نوع من التردد وشيء يشبه التوقف. لكنه لا يلبث فيزول ويغني العزم على عزمه وجمع أبو بكر الحفظة المشهود لهم بالضبط والاتقان، وكان أهمهم زيد وأبي بن كعب وعثمان وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن السائب وخالد بن الوليد وطلحة وسعد وحذيفة وسالم وأبو هريرة والصامت وأبو زيد وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص واجتمعوا برياسة زيد بن ثابت في منزل عمر ليتشاوروا في كيفية جمعه وتخصيص أعمال كل واحد منهم. ثم أخذوا يوالون اجتماعهم في مسجد المدينة لكتابة القرآن. وكلهم كانوا يحفظونه عن ظهر قلب وكانوا قد استنوا قبل بكتابته جملة مرار من فاكروهم لبتحقيقها من ضبطهم له وحفظهم إياه وجاء من كان كتب مصحفاً بمصحفه واحضروا كل الصحائف والقراطيس التي كتبوا فيها القرآن بحضرة النبي عليه السلام وأملأته وعهدوا إلى بلال أن ينادي بأعزاء المدينة أن من كانت عنده قطعة عليها شيء من القرآن فليأت بها إلى الجامع وليسلمها إلى الكعبة المجتمعين لجمع القرآن على مشهد الصحابة. وجرى بعد ذلك من القطع، وما كانوا يقبلون قطعة حتى يتحققوا أنها

كتب بن ندي اثني وحضره اذ كان غرضهم ان لا يكتب الا من عين ما كتب بين يديه وما تأوا يفتون ذلك الا بمباشرة في الاحتياط ومناولة في التحفظ وإرفاقاً في الضبط . وكانوا يقابلون القطع بعضها ببعض لتلا يقى بحال شك في علم الضبط . وكتب القرآن زيد بن ثابت جميعه . قال زيد حتى وصلنا الى آية « لقد جاءكم من سورة التوبة فقتلناها ونجسناها مكتوبة ثم وجدناها مكتوبة عند أبي خزعة ابن أوس بن زيد الانصاري . وقال زيد حتى وصلنا الى سورة الاحزاب فقتلنا آية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتسناها لنجدها مكتوبة فوجدناها مع خزعة بن ثابت الانصاري « من المزمين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فالحقها في سورتها في المصحف وتم جمعه . وجمع عمر جميع الحفظة والمصحابة وقرأ عليهم . ولم يبق من أحدهم اعتراض حين العرض . ولم يسمع ولم يظهر بعد أيضاً . وبعد اجماع أكابر المصحابة على هذا الترتيب في هذا المصحف لا يمكن ان يقال أنهم رتبوا ترتيباً سمعوا النبي عليه السلام يقرأ على خلافه . واجماعهم على هذا الترتيب واقرارهم عليه بلا خلاف من أحد منهم أقوى برهان على أنهم وجدوا ما أقادهم علماً لا بدع عندهم ريباً . فتقرر أمر القرآن تقرأ قطياً في هذا المصحف . وكان ذلك أعظم فرض قام به سلفنا المصحابة وأهم شيء حدث في الاسلام وأفضل من لهم علينا الى يوم القيام . وتوفي أبو بكر وهو أعظم الناس أجراً في المصاحف وتولى الأمر بعده عمر ففتحت بلاد القرس طولا وعرضا وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد الا وقيمت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصياني في المكاتب شرقا وغربا . بقي كذلك عشرة أعوام وأشهرها والمسلمون لا اختلاف بينهم في شيء مائة واحدة ومقالة واحدة . والمسلمون اذ مات عمر وان لم يكن عندهم زيادة على مائة الف مصحف من مصر الى العراق الى الشام الى اليمن فما بين ذلك فلم يكن أقل من ذلك . لان الحنفية عمر الذي كان كاد يموت هما بأمر المسلمين والذي حضر الخليج بعد عام الرمادة فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما اراد من الطعام لامل المدينة ومكة وما بينهما خليفة هنا شأنه لم يكن ليترك بها قاصدا ومدينة وقرية تولى أمرها بلا مصحف يقرأ فيه أهلها

« الكلام بقية »

منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق (*)

١

سأل سائل بترعة السويس هل كانت نافعة للمسلمين أو الشرقيين أم ضارة بهم فاجاب غير واحد بأنها كانت مثار المضار، وبركان الاخطار، لولاها لما جاس الأوربيون خلال هذه الديار، ولما تمكنت سلطتهم في كثير من الاقطار، وأجاب واحد ممن حضر بأنها كانت نافعة أكثر مما كانت ضارة اذ لولاها لكان أهل الهند والافغان كأهل مراكش في جهلهم وغفلتهم وجفوتهم للمدينة وفتونها التي وصلت اليها في هذا العصر بل ولكانت مصر التي تزهو بممراتها الآن خراباً يؤدي ذكران اليوم الشرارات من قراها مهوراً لآثاتها على الطريقة التي كانت متبعة عند اليوم في الزواج على عهد اسماعيل باشا. ناهيك باليابان وما صارت اليه، وبالصين وما تشرف عليه،

يسهل على غير الخبير المحقق في طبيعة الاجتماع، المعارف حقيقة حال الهند والافغان ومراكش ومصر، ان يماري في القول مرآة ظاهراً أو غير ظاهر، وان يستفي امثاله: أليس الفرق عظيم بين الهند التي كانت زاهية على عهد السلطنة التيمورية، بالمعارف والصنائع الوطنية، مستقنية بنفسها عن أوروبا وسائر العالم وبين مراكش التي كانت ولا تزال تغلب عليها البداوة بجهالتها وغباوتها وعصيانها لكل نظام؟ أليس كل ما ينسب الى الافغانين من الفضل هو تجافهم عن المدنية الاوربية ومنع الأوربيين ان يساكنوهم

(*) كتبنا هذه المقالة «للمعريدة» ونشرت فيها

(المنازع ١٠-٣) منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق ١٩٣

في بلادهم أو تجروا فيها آمنين ولولا ذلك لصاع استقلالها وكانت ولاية من ولايات الهند؟ ألم تأخذ مصر بأسباب المدنية الاوربية من عهد محمد علي باشا وهي على استقلالها؟ ألم تدخل في أول ولاية محمد توفيق باشا في طور جديد من اصلاح خابت به آمال طلاب الزواج من اليوم بالقرى والمزارع التي آلت الى الخراب؟ كل هذا يقال في الاستفتاء ويقال اكثر منه ويكون نص الفتوى عن كل سؤال: يلى! وهي كلمة يكتفي بمثلها مشايخ الاسلام في الاستاثة اذ يجيئون بكلمة « اولور » في مقام الايجاب وبكلمة « اولماز » في مقام السلب، وبعد ذلك يأتي الحكم على الاوربيين كافة بانهم ما جاؤا الشرق بخير ما ولا منفعة بل جاؤه بشرور ومضار اعظمها ازالة استقلاله وأي خير أو قبح يوزن بسلب الاستقلال حتى تصح المقابلة بين منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق؟

هذا هو الحكم الذي يري قاضيه عن قوس عقيدة الجماهير والجماهير في الشرق جاهلون بالسياسة راغبون عنها وقل في المشتغلين منهم بها والباحثين عنها من يحيط بأطراف مسائلها، ويعرف المطالب يراهايتها ودلائلها، ولولا ان هؤلاء العارفين قليلون فينا لما كنا نشكو مرض الامة الذي يعبرون عنه بلفظ التأخر والانحطاط. وهؤلاء العارفين القليلون لا يرضون بهذا الحكم وانهم لا علم من غيرهم بقيمة الاستقلال الذي عجت به الاوربيون وبانه لا يوزن به شيء ولكنهم يمتطون كل شيء حقه ثم يوازنون بين الاشياء لا يمتهمهم من ذلك ان يكون في احدى كفتي الميزان ما يرجح بكل ما يوضع في الاخرى. على هذه الطريقة القويمة نسير في بيان منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق بعد تمهيد مقدمات

١٩٤ منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق (المنار ٣-١٠)

تعين على فهم مرادنا من المقابلة وهي
 أننا نريد بالمنافع كل ما يزيل شيئاً من شقاء الأمة أو يزيد في سعادتها
 فيدخل فيها أمور الصحة ولا سيما مطاردة الأوبئة ، وأمور المعاش
 والكسب ولا سيما ترقية الزراعة وتأسيس الشركات المالية ، ويدخل فيها
 العلم والتربية والآداب وأمور الاجتماع وتدير المنزل والعلم بالادارة
 والسياسة وأصول النظام وغير ذلك مما ينقل الأمة من طور أدنى الى
 طور أرقى

(٢) أننا نريد بالمضار ما يقابل المنافع بجميع وجوهها التي أوماًنا
 إليها آتفاً وهو كل ما يصير به الأمة الى حال شر مما كانت عليه في أفرادها
 وبيوتها وهيئتها العامة سواء كان ذلك من جهة البدن كالمعاش والصحة أو
 من جهة النفس كالعلوم و الاخلاق والآداب وان شئت فقل كما يقول
 كتاب المعصر من الجهة المادية والجهة الأدبية ويدخل في الجهة الأدبية الدين
 (٣) أننا نريد بالأوربيين كل ما يتناوله اللفظ لا الحاك كون منهم خاصة
 (٤) ان المقابلة التي نوازن بها بين المنافع والمضار إضافة أي أننا
 ننسب حال الأمة بعد اختلاطها بالقوم الى حالها قبله لا الى ما ينبغي ان
 تكون عليه من الكمال ولا الى ما عليه الامم الاوربية في أنفسها ولا الى
 ما هو عامتها أو خاصتها أن نكون عليه

(٥) ان الكلام في المقابلة لا يتناول نيات القوم ومقاصدهم فينا
 وإنما هو خاص بالآثر الطبيعي لدخولهم في البلاد سواء جاء على وفق ما
 يقصدون أو على ضده

(٦) ان الغرض من بيان المنافع التنويه بها والتنبيه الى الاستزادة

(المادة ١٠) منافع الأوربيين ومشارعتهم في الشرق ١٩٥

منها ، ومن بيان المضار تقييدها والتفصيل عنها ، ووراء ذلك تلبية نداء التاريخ بتخليد هذه الحقيقة في ألواح الصحف سالمة من نزعات تنصب الجاهلية ، محفوظة من نزعات الأهواء السياسية ، لأن مدونها يجب أن تأتيا ولا يخاف في تقريرها لومة لائم ويجب أن يكون المسلمون وسائر أهل الشرق على هدى وبهيرة فيما يأخذون وفيما يتركون

(٧) أنه لا يفقه هذا الموضوع حتى يفقه الأمن كأن طارفا تاريخ الشرق حق المعرفة خيرا بأخلاق الناس فيه وعاداتهم وطبائع الأمم واحوال الاجتماع وشؤون السياسة ونحن لا نكتب هذه المقارنة والموازنة لمثل هذا العالم الاجتماعي التحرير وإنما نكتبها للجمهور الذي لا يعرف من حال نفسه وحال من يعيش معهم الاظواهر فحارة لا تنفذ بعيرة الى شيء مما وراءها وان كان يوجد في أفراد من يظن أنه أحاط بما هناك علما ، وقتله فقها وفهما .

من مسائل علم الاجتماع ان الافراد والامم المؤلفة منها تقتبس من مخالطها وبجوارها ما يناسب استعدادها . فالقانونيون لما كانوا أهل حرب وأولي قوة وبأس اقتبسوا من الاوربيين النظام العسكري وما يتبعه من الاستعداد للحرب والكفاح ، والسوريون لما عرف من استعداد القديم للتجارة كان أول شيء استفادوه من الاوربيين فنون التجارة وطرقها الجديدة حتى بذروهم في ذلك فقد كان معظم تجارة سوريا السككية يبعث في أيدي الاجانب فطلبهم عليها من كانوا يتخدمونهم من الاهالي حتى لم يبق لهم منها الاقلها ، والمصريون وهم أهل حث وزرع قد استفادوا منهم في ترقية زراعتهم ما يستحق به جميع الزداع في المشرق وكذلك يكون اقتباس

١٩٦ منافع الأوربيين ومضارهم - استقلال الفكر (الناشر: ١٠-٣)

المضار على حسب الاستعداد فلا بد من تدبير هذه القاعدة الاجتماعية فيما نذكر من المقابلة والموازنة في الفصول الآتية

٢

نبتدى بذكر المنافع والفوائد التي استفدناها بمخالطة الأوربيين والاتصال بهم وفي اقتباس علومهم ومعرفة أحوالهم وشؤونهم فنعد منها ما يسبق إلى الذهن أنه الأهم ونختار في سردها معدودة لفظ الفوائد فنقول (القائدة الأولى استقلال الفكر)

رأيت في يد أحد طلاب العلم جريدة جديدة وكنت تليدًا في فرقة ورأيت يسطرها ويدعي أنه يقدر على إنشاء جريدة خير منها قلت له اني لا أدعي مثل هذه الدعوى فإن كنت واثقًا مما تقول فاكتب لي مقالة في موضوع اجتماعي أو سياسي مما تبحث في مثله الجرائد . قال اقترح قلت اكتب لي مقالة في الاستقلال فسكت ولم يرجع الي قول ولا كتب شيئًا عزمت على ان أكتب شيئًا في استقلال الفكر ولم أفرغ له إلا بعد ثمان ساعات لم تخطر في بالي فيها تلك الواقعة ولكن كانت أول ما سبق من الذهن إلى القلم عند الكتابة وما أثبتنا عبثًا ولا فكاهة بل أردت أن أنبه القارئ إلى جلال الموضوع الذي لا زال أجله من ذلك اليوم عسى ان يهيه من انتباهه ما يليق به لاسيما اذا كان يحب الاستقلال لنفسه ولأمته يكثر في الجرائد ذكر استقلال الأمم والشعوب وقلما تذكر شيئًا في استقلال الأفراد الذي هو اصل استقلال الجماعات الكبيرة التي تسمى اممًا وشعوبًا

استقلال الآحاد نوعان استقلال الفكر واستقلال الارادة وهذان

(المنار ٣-١٠) منافع الأوربيين ومضارهم - استقلال الفكر ١٩١٧

النوعان هما الجناحان للإنسان يطير بهما إلى الكمال في العلم والعمل ويكون حظه من النجاح على قدر حظه من قوتيهما وحسن استعمالهما
استقلال الفكر يكون يبلوغ العقل أشده وارتقائه إلى مستوى رشده
فإن العقل القاصر هو الذي يتبع مذهب التقليد في كل ما يلقى إليه كما يرى من الأطفال ومن هم في حكم الأطفال من الرجال . فالمستقل في فكره هو الذي يستعمل عقله في البحث عن الحق والصواب في معارفه والتمييز بين النافع والضار من مصالحه أو مصالح أمته عند ما يبحث فيها فلا يقبل من هذا ولا ذاك قول من هو مثله إلا إذا ظهر له أنه الحق والصواب

إن الذي لا يعرف الحق والصواب بالنظر والاستدلال لا يعد عالماً ولا سياسياً بل لا يعد عاقلاً لأن ما يحفظه من أقوال الناس في الكتب والجرائد أو في البيوت والمحافل لا يرفعه إلى مرتبة العقلاء الذين يميزون بين الأقوال بالدليل العقلي فإن الأولاد المميزين يحفظون الأقوال مثله ولا يعدون من العقلاء إلا إذا أريد بالمقل من ليس مجنوناً يجب أن يـأق إلى بیمارستان أو مستشفى المجاذيب فإن هذا الاصطلاح يسمع لنا أن نطلق لقب العاقل على الأئمة الذي لا رأي له وإنما يتابع كل واحد على رأيه لاسيما إذا لم يكن متبعاً عنده بعداوته له لسبب من أسباب التهم

استقلال الفكر طبيعي في البشر كما أن ضده وهو التقليد طبيعي فيهم فاما التقليد فهو طبيعي في الراشدين ولولا ذلك لما ارتقوا في علم ولا عمل ولسار جيمهم على ما كان عليه أول واحد منهم فكانوا كالبهائم متساوين في علمهم وعملهم « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »
لو ترك الناس وفطرتهم لأعطوا طور التصور حقه وطور الرشده حقه

١٩٨ مناقم الأوربيين ومضارهم - استقلال الفكر (الذرة ٣-١٠)

ولكان معظم الأفراد الذين بلغوا أشدهم مستقلين في أفكارهم مستدين على آرائهم ولكانت أعمالهم على حسب أفكارهم. لاستقلال إرادتهم المبرعمة بالحرية الشخصية في عرف هذا العصر ولكن الرؤساء المسيطرين قد تصرفوا في الفطرة تصرفاً ذهب بالاستقلال الذي لا يتفق مع الاستبداد. ولذلك ترى أهل البداوة أقرب إلى الاستقلال من أهل الحضارة المحكومين بسلطة استبدادية

الحضارة كمال بشري وآفته الاستبداد، الذي يحول دون ما تقتضيه الحضارة من كمال الأفراد، لبعثه باستقلالهم وسيطرته عليهم في علومهم وأعمالهم، التعليم في البلاد التي تساس بالاستبداد يكون مبنياً على التقليد بطبع الحكومة لأن الذين يرفعون الحقائق لا يرضون أن يتحكم في مجموعهم واحد منهم إرادته حكم وهواه شريعة وقانون، فاستقلال الأفكار حرب لحكم الاستبداد وكثيراً ما كانت هذه الحرب سجالاً والعاقبة للمستقلين. الشرق اعرق في التقليد من الغرب فهو اعرق في الاستبداد أيضاً وقد ظهر الاسلام في الشرق وهو يرسف كالقرب في قيود التقليد ويثبط من وزر الاستبداد الثقيل فكسر القيود ووضع الاوزار ولكن عاد الاستبداد إلى المسلمين بعد اقل من نصف قرن فكان كلما قوي يقوى التقليد ويضعف الاستقلال حتى زال من مجموع الأمة وصار الأفراد المستقلون فيها كالغرباء لا ولي لهم ولا نصير

قاست أوروبا من بلاء الاستبداد أكثر مما قاست ممالك الشرق وحلكت ظلمات التقليد فيها أكثر مما حلكت في غيرها ولكن ما عنت ان خضاه لها قبس من علوم صرب الاندلس وغيرهم فوجد فيها من عرف

(المادة ٣-١٠) منافع الأوربيين ومضارهم - استقلال الفكر ١٩٩

قيمته، وانضى في استعماله عزيمته، حتى صار ضياء ساطعا، ووراء في تلك الآفاق لامعا، وجاءت ساعة المشرق، بطلوع الشمس من المغرب، جاهدت أوروبا أفضل الجهاد في سبيل استقلال الفكر والارادة حتى ظفرت باعدائها من رجال الدين، والماوك المستبدين، وجعلت كلمة الدليل هي العليا، وكلمة التقليد هي السفلى، نجحت بين عزة البداوة، ومحاسن الحضارة، فارتقت فيها العلوم والاعمال، الى درجة لم تصد في جيل من الاجيال، من حيث رجع الشرق القهري « وغدا يقدمه الزمان الى ورا » ما كان العلم ليدع الجبل على ماهو عليه حتى يحكم فيه حكمه، ويوقع على أهله عدله أو ظلمه، اندفعت أوروبا الى الشرق مستعمرة للارض، أو داعية الى الدين، أو طالبة للكسب، فامتزج أهلها بأهله، ووصلوا حبلا بحبله، بما أنشأوا من المدارس، وما تهللوا من الاعمال والوظائف، فطقق أهل الشرق يتعلمون على الطريقة الاوربية طريقة البحث والاستدلال، والاستنباط والاستنتاج، وانشأوا يستشقون نسيم الاستقلال، وتوجهون الى طلب الكمال،

فهذه فائدة كبرى قد استفدناها من الاوربيين ينبغي أن نشكرها لهم ونحمد لاجلها معرفتهم . وليس للمسلم ان ينكر ذلك محتجا بأن القرآن الحكيم قد ارشد الى هدم التقليد وقام على اساس الاستقلال في الاستدلال فان هذا وان كان حقا يترف به النصف من علماء أوروبا لم يكن هو المنبه في هذا المصير للشرق عامة والمسلمين خاصة ودليلنا على هذا ان رجال الدين منا لا يزنون في الاكثر اسرى التقليد واعداء الاستقلال، فيجب ان نصف من انفسنا، ونشكر لمن نهنا الى مصلحتنا،

الجامعة الإسلامية

تكلم اللورد كرومر في تقريره الأخير عن الجامعة الإسلامية كلاماً يؤيد الذين أظهروا يقظة المسلمين في غير شكلها فرأينا أن نشر ما كتبه الاستاذ الامام عن ذلك في رده الثاني على موسيو هانوتو وهو لم ينشر في الرسائل المتداولة ناقلين ذلك عن الجزء الثاني من تاريخه قال رحمه الله

شأن المسلمين اليوم وظهور دعوة فيهم الى توحيد كلمة المسلمين وجمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد في جميع البلاد الإسلامية
أو كما لسيو هانوتو ان هذه الدعوة لم يوجد لها أثر الى اليوم في بلد من بلاد المسلمين ولو خطأ خطوة الى معرفة أحوالهم على ما هي عليه لما خطر بباله ان يشير الى هذه الدعوة فضلاً عن أن يبني عليها حكماً وان ما علق بالاولهام منها قائماً منشؤه سوء فهم بعض مسيحي الشرق ثم انعكاس ذلك في اذهان سياسيي المغرب وقد يكون لسوء نية بعضهم مدخل في تعظيم ماتوم فيها

وإني أعرض الحقيقة كما هي لا ينشأها سائر من تمويه ولا غطاء من تليس وأرجو ان يكون في هذا البيان ما يقنع مسيو هانوتو بحسن مقاصد المسلمين اليوم في كلامهم عن الدين وما يرد أمثال صاحب الجريدة التي نشرت حديثاً (١) الى رشدكم حتى يتقوا الله في أنفسهم وأهل بلادهم ولا يتخذ بعضهم من السلم حرباً ولا من السكون شغباً لا أنكر أن طائفاً من الدين طاف في هذه السنين الأخيرة بمقول بعض المسلمين في أقطار مختلفة من الارض وان نسمة من نفس الرحمن مرت بأفئس قليل من أهل الفضل فيهم فحركت ما كنهم وأثارت همهم الى النظر فيما كان عليه أهل هذا الدين وفيما صاروا اليه وان منهم من يتكلم بما يرى اذا وجد سبيلاً الى الكلام ومنهم من ينشر رأيه في كتاب أو جريدة اذا نهأت له الوسائل

(١) يعني بالجريدة الاهرام وكان صاحبها نشر فيها حديثاً دار بينه وبين هانوتو بعد الرد الأول عليه وما نشره هنا هو من الرد على هذا الحديث

ذلك . ثم يوجد مقلدون لهؤلاء يقولون مالا يعلمون، ويهرفون بما لا يعرفون، ولا كلام لنا في حذر المقلدين، وإنما كلامنا فيما يرمي إليه غرض أولئك الناظرين

ظهر الاسلام لاروحيا مجردا، ولا جسديا جامدا، بل انسانيا وسطا بين ذلك أخذ من كل من القبيلين بنصيب فتوفر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ولذلك سعى نفسه دين الفطرة وعرف له ذلك خصومه اليوم وعدوه المدرسة الاولى التي برقى فيها البرابرة على سلم المدنية . ثم لم يكن من أصوله « أن يدع ما تقصر تقصر » بل كان من شأنه أن يحاسب يقصر على ماله ويأخذ على يده في عمله . جاء هذا الدين على الوجه الذي ذكرناه في ضالا ، وألان قاسيا، وهذب خشنا ، وعلم جاهلا ونبه خاملا، وأثار الى العمل كسلا، وأقدر عليه وكلا، وأصلح من الخلق فاسدا ، وروج من الفضيلة كاسدا ، ثم جمع متفرقا، ورأب منصدعا، وأصلح مختلا، ومحا ظلما، وأقام عدلا ، وجدد شرعا، ومكن للام التي دخلت فيه نظاما، امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه ، فكان الدين بذلك عند أهله كمالا للشخص والفئة في البيت ونظاما للملك . وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم ولم يفت العلم حظ من عنايته بل كان قائده في جميع وجوه سيره . فان شاء قاتل ان يقول ان الدين لم يعلمهم التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة في البيت لم يسهه أن ينكر انه أوجب عليهم السعي الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية وأوجب عليهم ان يحسنوا فيه وأباح لهم الملك وفرض عليهم ان يحسنوا الملكة وما ظنك بدين يقول خليفته الثاني وهو في المدينة من بلاد العرب « لو ان سحلة بوادي الفرات أخذها الذئب لسئل عنها عمر » ويقول خليفته الرابع « أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركم في مكاره الدهر، أوأ كون أسوة لهم في جشوبة العيش ؟ » أي خشوته يريد بذلك أن يساوي المساكين في العيش ليكون قدوة الاغنياء في الاحسان وأسوة الفقراء في حسن الصبر

هكذا كان الاسلام مهمازا للمسلمين يحثهم الى جلائل الاعمال، ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به في استغراق الاحوال، وتقويم الافكار وعاطفيا بهطف قلوبهم على الامم بالصفو والمرحمة وحسن المعاملة حتى رضيتهم الارض سادة لها

وقادة لكانها وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم
أفبعد هذا يعجب عاقل اذا رأى المسلم يرضى ما رضىه هذا المرشد الحكيم
ويقت ما مقته؟ أيدعشه ان يرى المسلم يهزأ بكل ما لم يعتقده سائفا في دينه وان كان
فيه ملك الارض أو ملكوت السموات بعد ما شهد المسلم من أثر نعمة الله عليه في
هذا الدين ما شهد؟ لا عجب في ذلك فانه نتيجة ضرورية يفساق اليها الامر بنفسه
بحكم سنة الله في خلقه

والأسفا !! لم يبق للمسلم من الدين الا هذه الثقة فيه اما الدين نفسه فقد اقلب
في عقل المسلم وضمه، وتغير في مداركه طبعه، وتبدلت في فهمه حقيقته، وانطلعت
في نظره طريقته، وحق فيه قول علي كرم الله وجهه « ان هؤلاء القوم قد لبسوا
الدين كما يلبس القوم ثيابا »

لأبحث اليوم في الاسباب التي وصلت بالدين في نفس المسلم الى ما ذكرت
ولكن أقول ولا أخشى منكم لما أقول : قد دخل على المسلم في دينه ما ليس
منه ، وتسرب في عقائده من حيث لا يشعر ما لا يتصل بأصلها بل ما يهدم قواعدها
ويأتي على أساسها . عرضت البدع في العقائد والأعمال ، وحلت محل الاعتقاد
الصحيح ، وأخذت مكان الشرع القويم ، وظهرت آثارها في أعماله ، وعم شؤمها
جميع أحواله

ان صح لفظ الحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » أولم
يصح فالقرآن يؤيد معناه ، وعمل الأولين من المسلمين يحقق صحة ما حواه ، فالرجل
والمرأة سواء في الخطاب التكليفي ، وكانا سواء في علم ما يجب عليهما من فرائض
الاسلام ، وخصال الايمان ، وفي طلب العلم بما يلزم لصلاح معادهما ومعاشهما وبما
تحسن به المعاملة مع من يتصل بهما قرب أو بعد على تفصيل معروف في كتاب الله
وسنة رسوله وعمل الصالحين من بعده حتى لم يبق باب من أبواب العلم الا دخل
منه بقدر الاستطاعة وما يسمح الزمان . ضل المسلم بعد ذلك في معنى العلم فظن الرجل
ان غاية ما يفرضه الدين منه معرفة فرائض الوضوء والصلاة والصوم في صورة
ادائها اماما ينطق بسر الاخلاص فيها ووسيلة قبولها عند الله فذلك عملا بمنطلعه

(النار - ١٠) الجامعة الإسلامية - المسلمون في العلم فريقان ٢٠٣

يأل إلا اقليل النادر اما آداب الدين وتهذيب الروح واستكمال الخصال الجليلة مما جعله الاسلام غاية العبادات وعمرة الاعمال الصالحات فهو مع أنه أهم علوم الدين عمالا تتوجه اليه عزيمة ، ولا تنصرف نحوه ارادة ، اللهم الا من أشخاص قلائل مشورين في أطراف الارض لا ترقى بهم أمة ، ولا تسوبهم كلمة امان ينقطعون لطلب العلوم ليحصلوا جملة منها فقد انقسموا الى فريقين

الاول من يظن أنه وارث علوم الدين والقائم بحفظها وقد قل افراده في معظم البلاد الإسلامية ولم يبق منه الا رسوم لا يكاد يدركها نظر الناظر والمشتغلون منهم في بعض البلاد كمصر والاسنانة فانما حفظ الذكي منهم وقليل ما هو ان ينظر في كتب مخصوصة عنها له الزمان وضعف العرفان ويفهمها بمعنى أن يثق بأن هذا اللفظ دال على ذاك المعنى ومنى تم له ذلك فقد استكمل العلم سواء سلم له عقله ودينه وأدبه بعد ذلك أم لم يسلم فكان مثله مثل من ورث سلاحا فكان همه أن ينظر اليه ويعلأ عنه منه ولا يمد يده اليه يستعمله أو يزيل الصدأ عنه فلا يلت أن يأكله الصدأ ويفسده الخبث ويزعجون ان الدين يصد عما وراء ما عرفوا من العلوم النافعة ومن رأي هؤلاء أن لاشأن لهم مع العامة ولا يجب عليهم أن يأمرؤا بمحروف ولا ان ينهوا عن منكر وقد ارتكبوا بذلك خطأ في فهم دينهم لا يساويه في سوء عاقبته خطأ والكثير منهم بل الاغلب من سوء الفهم في الدين ما لا حاجة الى عده ولا يخفى ان ما يحصله هذا الفريق في العلم لا يظهر له ادنى أثر في صلاح الامة كما هو مشهود

والفريق الثاني من يهيو أولياؤه لنيل منصب من مناصب الحكومة عال اوسافل وافراد هذا الفريق ان كثيروا أو قلوا يحصلون مبادي العلوم المردفة بالعلوم المصرية ثم يحصل كل واحد ما به ينال المنصب الذي يمد له والده على أن ما يحصل اما لفظ يحفظ أو خيال يخزن والمدار على الوصول إلى ورقة الشهادة ومن هؤلاء من يذهبون الى أوروبا بالاستعمال الترية فيها ولا غاية لهم سوى هذه الغاية فن أصحاب منهم بعد ذلك وظيفة تنع بها وحصر همه على العمل فيها ومن لم يجد وقف على الابواب ينتظرها فاذا مل الانتظار أو نقصي زمن العمل وجفته

٢٠٤ الجامعة الإسلامية - دين النساء الخطأ في فهم الدين (الناشر: ١٠)

في قهوة أو ملهى يسرف في أوقاته ويفسد في أدواته والصالحون منهم قليل ما هم لا بهم شأن العامة شقيت أو سعدت هلكت أو قامت فاي أثر لها نطته هو لاه يظهر في الأمة وأستفي منهم شواذ في كل بلد على ضعفهم يرجي أن ينمو عددهم ونجى الام ثمار أعمالهم . هذا شأن الرجال مع العلم

أما النساء فقد ضرب يئهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن وأدبناهن بتار لا يدري متى يرفع ولا يخطر بالبال ان يملن عقيدة أو يؤدين فريضة سوى الصوم وما يحافظن عليه من الفقه فانما هو بحكم المادة وحارس الحياء وقليل جدا من موروث الاعتقاد بالحلال والحرام وحشو أذهانهن الخرافات وملاك احاديث الترهات اللهم الا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن وكل من الرجال والنساء بعد فقه مسلما يدها الجنة ويمنيا السعادة

أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والقدر فال الى الكسل وقعد عن العمل ووكل الامر الى الحوادث تصرفه حيثما تهب ريحها ويظن أنه بذلك يرضي ربه ويراني رغائب دينه

أخطأ المسلم في فهم ما ورد في دينه من ان المسلمين خير الامم وان العزة والهرة مقرونتان بدينهم أبد الدهر فظن ان الخير ملازم لضموان المسلم وان رفعة الشأن تابعة لفظه وان لم يتحقق شيء من معناه فان أصابته مصيبة أو حلت به رزية تسلي بالقضاء وانتظر ما يأتي به الغيب بدون ان يتخذ وسيلة لدفع الطاريء أو ينهض الى محل لتلافي ما عرض من خلل ، أو مدافعة الحادث الجلل ، مخالفاً في ذلك كتاب الله وسنة نبيه

أخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لأولي الأمر والاتباع لا وامرهم فالتواقيت الى الامم ووكل اليه التصرف في شؤونه ثم أدبر عنه حتى غلبت الحكومة يمكنها القيام بشؤونه جميعها من ادارة وسياسة بدون ان يكون لها منه عون موزى الضريبة التي تفرضها عليه ومن رأى حزن الآباء اذا طلب ابنائهم لاداء الخدمة العسكرية وما يذلولونه من السعي في تخليصهم منها حكم بان ما يفتقه أكثر المسلمين من معنى الحكومة لا يمكن انطباقه علي شيء من أوليات العقل وعرف ان ثقتهم

(الناظر ١٠-٣) الجامعة الإسلامية - حكم المسلمين . باسم ٢٠٥

بالحكم قد بلغت الى حد التأليه من حيث ظنوه قادرا على كل شيء بدون عون من أحد وانقلبت تلك الثقة الى الادبار والتخلي عنه من حيث أنهم تركوه وشأنه لا يساعده في حادث ، ولا يعينونه في أمر مهم ، اللهم الا اذا ارغموا على ذلك ومن ذا الذي يحسن عملا اذا ألجئ اليه بالرغم عنه ومن هنا انصرف المسلم عن النظر في الأمور العامة جملة وضمف شعوره بحسنها وقبيحها اللهم الا ما عسى شخصه منها اما الحكم وقد كانوا اقدر الناس على انقياس الامة مما سقطت فيه فاصابهم من الجهل بما فرض عليهم في اداء وظائفهم ما أصاب الجمهور الاعظم من العامة ولم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الابدان لاهوائهم واذلال النفوس لحشونة سلطانهم وابتزاز الاموال لانفاقها في ارضاء شهواتهم لا يرعون في ذلك عدلا ، ولا يستشيرون كتابا ، ولا يتبعون سنة ، حتى افسدوا اخلاق الكافة بما حملوها على النفاق والكذب والفسق والافتداء بهم في الظلم وما ينبع ذلك من الخصال التي مانت في أمة الاحل بها العذاب

هذا كله الى ما حدث من بدع أخرى من مذاهب شتى في العقائد ، وطرق متخالفة في السلوك ، وارااء متناقضة في الشرائع ، وتقليد أعمى في جميع ذلك ، فنفرقت المشارب ، وتوزعت المنازع ، وعظم سلطان الهوى على ارباب النزعات المختلفة ، كل يجذب الى نفسه ، لا ينظر الى حق ، ولا يفرغ من باطل ، وانما همه ان يظفر بمخصمه وذلك الخصم هو ما يدعوه أخاله في الاسلام في معرض التشديق بالكلام

وزد على ذلك وهذا اكبر بدعة عرضت على نفوس المسلمين في اعتقادهم وهي بدعة اليأس من انفسهم ودينهم وظنهم ان فساد العامة لا دواء له وان ما نزل بهم من الضر لا كاشف له وانه لا يمر عليهم يوم الا والثاني شر منه . مرض سرى في نفوسهم ، وعلة تمكنت من قلوبهم ، لتوهم المقطوع به من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وتعلقهم بما لم يصح من الاخبار أو خطائهم في فهم ما صح منها وتلك علة من أشد العلل فتكا بالارواح والعقول وكفى في شاعتها قوله جل شأنه « انه لا يئس من روح الله الا القوم الكافرون »

تبع هذه البدع جميعها واخري يطول ذكرها هزال في الهمم ، وضمضة في

العزائم، وفساد في الأعمال ، يتبدى من البيت وينتهي الى الامة ويعرف في كل طبقة ويجول في كل دائرة خصوصا من دوائر الحكومات وما يرمى به المسلمون من التمسك الديني الاحمى فانما عرض على اقوام في بعض البلاد الاسلامية تبعا لهذه البدع الضالة على انني لا اسلم انهم بلغوا فيه ادنى درجاته في الامم المسيحية شرقية كانت أو غربية والتاريخ شاهد لا يكذب

هذا ما لبس المسلمين في عقولهم وعزائمهم وأعمالهم بسبب ابتداعهم في دينهم وخطائهم في فهم أصوله ، وجهلهم بأدنى أبوابه وفصوله ، لهذا سلط الله عليهم من يسلبهم نعمة لم يقوموا بشكرها وينزل بهم من عقوبة الكفران ما لا قبل لهم بدفعه الا اذا تداركهم الله بلطفه وقد ابتلاهم عن يلقى بدنيهم كل عيب ، ويقرنه اذا ذكره بما يتبرأ منه، ويعده حجابا بين الامم والمدنية ، بل يعده منبع شقاوتهم وسبب فائهم

تنب لذلك أفراد من عقلاء المسلمين في اواسط القرن الماضي من سني الهجرة في أقطار مختلفة من بلاد فارس والهند وبلاد العرب ثم في مصر وكل منهم بحث في الداء وقدر له الدواء بحسب فهمه على تقارب بينهم ولما هم يلتقون يوماً من الأيام عند الغاية ان شاء الله

مقصد الجميع ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في تقويم شؤونه ويمكن ان يقال ان الفرض الذي يرمى اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد وازالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين حتى اذا سلمت العقائد من البدع تبعا سلامة الاعمال من الخلل والاضطراب واستقامت أحوال الافراد واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية دينية ودنيوية ونهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة وسرى الصلاح منهم الى الامة فاذا سمعت داعياً يدعو الى العلم بالدين فهذا مقصده ، أو نادياً يحث على الترية الدينية فهذا غرضه ، أو صائحاً ينكر ما عليه المسلمون من المفاسد فلئلا غايته ، وهذه سبيل لمريد الاصلاح في المسلمين لامتدوحة عنها ، فان اتيانهم من طرق الأدب والحكمة المارية عن صبغة الدين يحوجه الى انشاء بناء جديد ليس عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه ان يحدد

من مماهه أحدا ، وإذا كان الدين كافلا بنهذب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل النفس على طلب السعادة من أبوابها ولا اله من الثقة به ما يناله وهو حاضرا لديهم والثناء في ارجاعهم اليه أخف من أحداث مالا إمام لهم به فلم المدول عنه الى غيره !! لم يخطر ببال أحد من يدعو الى الرجعة الى الدين سواء في مصر أو غيرها ان يثير فتنة على الاوربيين أو غيرهم من الامم المجاورة للمسلمين غير ان بعض المسيحيين اذا سمع قولا في الدين أعرض عن فهمه ، وأنشأ لنفسه غولا من خياله ، يخاف منه ويخشى غائلته ، يسميه باسم الدين . وبعضهم يظن انه لو اتقاه المسلمون الى شؤنهم ، ورجعوا الى الاخذ بالصحيح من دينهم ، لا اعتصموا بحماقتهم ، واستعانوا على تقويم أمورهم بأنفسهم ، واستغنوا عن أدخله في أعمالهم من غيرهم ، فيحرم الكثير من المسيحيين تلك المنافع التي نالوها بفنلتهم ، وهو سوء ظن من الزاعم بنفسه فانه يظنه هذا يستبداه غاش مفر ، وسالب متلصص ، وسوء ظن بالمسلمين أيضا فان أهل الوطن الواحد لا يستغني بعضهم عن بعض مما ارتقت مدارقهم وعظم اقتدارهم على الاعمال وغاية الامر أن ما كان ينال اليوم بدون حق يصبح وهو لا ينال الا بحق والاجنبي الذي كان يتفق الواحد ويربح المئة يرجع الى الاعتدال في الكسب ، ويحتاج الى شيء من التعب في استيراد البع ، وقد كان المسيحيون عاملين في الدول الإسلامية وهي في عنفوان قوتها ، والاجانب يطلبون الكسب في ارجائها وهي في أرفع مقام من عزتها

نعم يعرض في طريق الدعوة الى الدين على هذا الوجه أن يلتص مسلم ببشر معونة من مسلم آخر بسور يا أو بالهند أو بالمعجم أو بأفغانستان أو بغير هذه الاقطار لان مرض الجيم واحد وهو البدعة في الدين فاذا نجح الدواء في موضع كان السليم أسوة للبري في موضع آخر أما السعي في توحيد كلمة المسلمين وهم كما هم فلم يمر بقل أحد منهم ولو دعا اليه داع لكان أجدر به ان يرسل الى مستثنى المجانين

يكتب بعض أرباب الاقلام من المسلمين في حكمة الحج ويقول انه صلة بين المسلمين في جميع اقطار الارض ومن أفضل الوسائل لتعاون بينهم فليهم

٢٠٨ الجامعة الإسلامية - الدولة العثمانية والجمع بين السلطين (المفاهيم ١٠)

ان يستفيدوا منه وهو كلام حق لكن لا ينبغي أن يفهم على غير وجهه فإن الفرض منه ان يذكر المسلمون ما بينهم من جامعة الدين حتى يستعين بعضهم بعضاً على اصلاح ما فسد من عقائدهم أو أضل من أعمالهم وفي مدافعة ما يترتب بهم من قحط أو ظلم أو بلاء وهو أمر مبرور عند جميع الأمم التي تدين بدين واحد خصوصاً عند الأوربيين.

يكثر المسلمون اليوم من ذكر الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد ويقولون آملمهم بهتة وكثير منهم يدعو إلى عقد الولاء له وهذا أمر لا ينبغي ان يدعش أحداً فإن هذه الدولة هي أكبر دول الاسلام اليوم وسلطانها أفخم سلاطينهم ومنه يرجي انقاذ ما بين يديه من المسلمين لما حل بهم وهو أقدر الناس على اصلاح شؤونهم وعلى مساعدة الداعين إلى تمحيص العقائد وتهذيب الاخلاق بالرجوع إلى أصول الدين الطاهرة النقية نأي شئ في هذا يزعمج أوربا حتى تتعد على هضم حقوق المسلمين اذا حدثت حوادث مثل الحوادث الماضية كما يقول موسيو هانوتو

بقي الكلام على جمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد يقول فيه موسيو هانوتو ان أوربا لم تتقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية من السلطة المدنية وهو كلام صحيح ولكنه لم يدرك ما معنى جمع السلطين في شخص عند المسلمين . لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت للبابا على الأمم المسيحية عند ما كان يعزل الملوك ويحرم الأمراء ويقرر الضرائب على الممالك ويضع لها القوانين الالهية وقد قررت الشريعة الاسلامية حقوقاً للحاكم الأعلى وهو الخليفة أو السلطان ليست للقاضي صاحب السلطة الدينية وإنما السلطان مدبر البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب أو السياسة الخارجية وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم الا التولية والعزل ولا لهم عليه الا تنفيذ الأحكام بعد الحكم ورفع المظالم ان أمكن وهذه الدولة العثمانية قد وضعت في بلادها قوانين مدنية وشرعت نظاماً لطريقة الحكم وعدد الحكامين ومثلهم وسعت بأن يكون في محاكمها أعضاء من المسيحيين وغيرهم من الملل التي

(المآزر ٣-١٠) الجامعة الإسلامية - حال المسلمين مع حكاهم الأانب ٢٠٩

نحت رعايتها وكذلك حكومة مصر أنشئت فيها محاكم مختلطة ومحاكم أهلية بأمر الحاكم السيامي وشأن هذه المحاكم وقوانينها معلوم ولا دخل لشيء من ذلك في الدين فالسلطة المدنية هي صاحبة الكلمة الأولى كما يطلب مسيو هانويو ولكن مع ذلك لم يظهر نقمها في صلاح حال المسلمين بل كان الأمر معكوساً فإن أمراء السابقين لواعبوا أنفسهم أمراء الدين لما استطاعوا المجاهرة بمخالفتهم في ارتكاب الظالم والمفالة في وضع المفارم والمبالغة في التبذير الذي جراؤيل على بلاد المسلمين وأعدمها أعز شيء كان لديها وهو الاستقلال

ان فرنسا تسي نفسها حامية الكاثوليك في الشرق وملكة انكفرا تلقب بملكة البرونسانت وأمبراطور روسيا ملك ورئيس كنيسة معا فلم لا يسمح للسلطان عبد الحميد ان يلقب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين

لا أنظن ان مسيو هانويو يسي الظن بدعوة دينية على الوجه الذي يناه وأظنه يكون عوناً للمسلمين على نفضيدها في البلاد الإسلامية الفرنسية اذا وجد فيها من يقوم بها وانا أضمن له بعد ذلك ان تتفق مصالح المسلمين مع مصالح الفرنسيين فان المسلمين اذا تهذبت اخلاقهم بالدين سابقوا الأوربيين في اكتساب العلوم وبمصيل المعارف ولحقوا بهم في التمدن وعند ذلك يسهل الاتفاق معهم ان شاء الله

٣

« سوء ظن المسلمين بسياسة أوروبا كلها وعدم ثقة سياسيمهم بدولة من الدول واعتقاد المسلمين بأن مصلحة أوروبا المسيحية تخالف مصالحهم الإسلامية وعدم اطمئنانهم الى سياسة الدول المسيحية حتى أدى بهم فقدان الثقة بالمسيحيين الى ان لا يأتعنوا مسيحياً عثمانياً ولو أخلص لهم الخدمة وصدق معهم » سمع بذلك كله موسيو هانويو من صاحب الجريدة المعروفة ومن بعض الثمانين في الاستانة وباريس ثم أخذ يبرهن على أن سياسة أوروبا اقتصادية ملكية لادينية لاهوتية

لأدري من هم المسلمون الذين وصفهم موسيو هانويو ومن أبلغه اخبارهم أم المنودوم في حكم دولة أجنبية ولا زال يرى في خطبهم وجرائدهم ما يدل على طاعنهم لحكاهم وتطبيقهم الآمال بعد لهم والتماسهم الحق من طرقة

٢١٠ الجامعة الإسلامية - حال العثمانيين مع المسيحيين (الناظر ٣-١٠)

هل هم مسلمو روسيا وثقتهم بحكومتهم وثقة حكومتهم بهم لا تخفى على أحد
حتى ان الدولة الروسية تفضلهم على المسيحيين من غير المذهب الارثوذكسي
هل هم الافغانيون واخلص أميرهم في مصافاة الانكليز أشهر من أن يذكر
ولا ينفي اخلاصه حرصه على بلاده ومحافظة على مصلحتها

هل هم الفرس واستنامتهم الى السياسة الروسية لا يجعلها أحد ؟

هل هم المراكشيون وهم يعملون عن كل مايسى سياسة بل هم في غفلة عن
الدين والدنيا جميعا شغل بعضهم بعض فلا ينفكون يتقاتلون ويتسالبون حتى
يقضي الله فيهم بقضائه

هل هم التونسيون وقد أثنى عليهم موسيوهاوتوتو بما هم أهله وثبت له اوتياحهم
الى السلطة الفرنسية لجرد ما أطلقت لهم الحرية في دينهم

لهم لم يقصد الا العثمانيين كما يدل عليه بقية كلامه وكما يفيد قوله ان لا يأتمنوا
مسيحيًا عثمانيا والعمانيون منهم المصريون ومنهم غيرهم فاما المصريون فلا شيء
عندهم يدل على عدم الثقة بالاوربيين وبالمسيحيين العثمانيين فانهم يشاركون في
العمل مواطنهم من الاقباط في جميع مصالح الحكومة ما عدا الحاكم الشرعية الخاصة
بالمسلمين وهم معهم على غاية الوفاق خصوصا أهل الاخلاص وسلامة النية منهم
ولكل من الفريقين اصدقاء وأحبة في الفريق الآخر ثم شأنهم هو ذلك الشأن مع
سائر الطوائف المسيحية الا من ظهر منهم بالنصب البارد للدين وآذاهم في دينهم
أوفي منافهم الخاصة بهم لالشيء سوى التعصب الاعمى ولا نطلب على ذلك شاهدا
اقرب من صاحب الجريدة الذي يحادثه موسيوهاوتوتو إنه بعد أن كان على المسلمين
أثناء الحرب الروسية العثمانية وبعد ان أتى ما أتى عقب الحوادث الراية شهد له
المسلمون بأنه صديقهم والساعي في خيرهم كما افتخر بذلك مرارا في جريدته وان
كانت له اليهم هبات لا تزال تبدو من فيه الى وقت ذلك الحديث فأين فقد هذه الثقة
بالعثمانيين المسيحيين في مصر ؟ هل طرد أحد من خدمة الحكومة لانه مسيحي عثماني ؟
هل حرم أحد حق المحاماة أو انشاء الجرائد أو المطابع أو اقامة المصانع أو تأسيس
البيوت التجارية لانه مسيحي عثماني ؟ فليات صاحبنا بشاهد واحد

(المنار ١٠-٣) الجامعة الإسلامية - ثقة المسلمين بالأوروبيين ٢١١

أما حالهم مع الأوروبيين فأننا نراهم إذا أحسوا بحد من انكليزي ذكره، أو وصل اليهم معروف من أي عامل أوروبي شكروه، بل ازيدك على هذا ان المستقيث منهم بالحكومة يطلب منها ان يتولى تحقيق مظلمته انكليزي كما شوهه ذلك كثيراً في شكاياتهم وليس بقليل من يعرض شكواه على جناب اللورد كرومر وهو ليس بمحكم رسمي فأى دليل على الثقة أكبر من هذا

ليس بقليل في مصر من يثق بالفرنساويين ومن له بينهم اصدقاء يركن اليهم ويعتد بولايتهم وموسيو هانوتو وصاحب الجريدة يعرفان ذلك

كثيرا ما أغرى الاوربيون من فرنساويين وأمريكيين من أرباب المدارس في مصر شبانا من المسلمين بالمرور من دينهم والدخول في الديانة المسيحية وفروا ببعضهم من القطر المصري الى البلاد الاجنبية وأحرقوا كبدوالديه ومع ذلك لا تزال ترى المسلمين يرسلون أولادهم الى مدارسهم وناظر المعارف عندنا وزير مسلم وأولاده يتربون في مدارس الجزويت وكثير من أبناء الاعيان في مدارس الفرير فأى اثنان يفوق هذا الاثنان

زادت ثقة المصريين من المسلمين بالأوروبيين خصوصا في المعاملات حتى أساء أولئك الاوربيون استعمالها وانتهزوا فرصتها وسلبوا كثيرا من أهل الثروة ما كان بأيديهم ومع ذلك فهم لا يزالون يأمنونهم ويغالون في الاستئانة اليهم وبقلوبهم فيما يخالف دينهم وعوائدهم فماذا يطلب من الثقة فوق هذا !!

هل يشكو عقلاء المسلمين في مصر من شيء مثل ما يشكون من الثقة العمياء بالاجنبي من غير تمييز فيما هو عليه من أخلاص أو غش من صدق أو كذب من أمانة أو خيانة من قناعة أو طمع حتى آل الامر بالناس الى ما آلوا اليه من خسارة المال وسوء الحال فهل هذا هو فقد الثقة بالأوروبيين والعثمانيين المسيحيين الذي يعنيه حضرة صاحب الجريدة وجناب موسيو هانوتو ؟

وأما العثمانيون من غير المصريين فإذا ارتقينا الى الدولة وسلطانها أيده الله وجدنا أن نظام الدولة قاص باستعمال المسيحيين في ادارتها ومحاكمها في كل بلد فيه مسيحيون، والمأمورون من المسيحيين يغالون من الناشئين والرتب ما يناله المسلمون

٢١٢ الجامعة الإسلامية - معاملة السلطان للصغار وسياسته (الناظر ١٠٣٠)

على نسبة عديم أوفوق ذلك وكثير من المسيحيين نالوا من الامتيازات والمنافع في الدولة ما لم ينله مسلم وسفارات الدولة ومناصبها العالية لا تخلو من المسيحيين . اقبال السلطان على رؤساء الطوائف المسيحية وانعامه عليهم بوسامات الشرف واختصاصه لبعضهم بشرف المثل في حضرته والاحسان اليه برقيق المخاطبة لا ينقطع ذكره من الجرائد، صاحب الجريدة التي نقلت الحديث أمثل شاهد على مثل ذلك فقد جاهر زمنا ليس بالقصير بمالا ترضى الدولة بمثله ولا بأقل منه من مسلم ثم سهل عليه وهو مسيحي ان يكون موضع ثقة للجناب السلطاني حتى أدناه منه وقبله في مجلسه وسمع منه أمير المؤمنين تلك النصيحة المفيدة التي نشرها في جريدته من نحو شهرين أثر هوبه لنصرة مسيو هانوتو ثم والى عليه احسانه بالرتب والنياشين وغيرها فهاهي الثقة ان كان هذا قدما ؟

أما سياسة الدولة الخارجية فالفرنساويون يشكون من مصافة السلطان وثقة بدولة المانيا وهي دولة مسيحية ولا أعظم يشكون من ثقة أخرى بدولة اسلامية وكانت للدولة ثقة لا تتزعزع بالسياسة الانكليزية ثم حدثت حوادث أهمها نشأ من ضعف سياسة موسيو غلادستون فأعقبا اضطراب في تلك الثقة مدة من الزمان بحكم الضرورة ثم اننا نراها اليوم تراجع وفي رجال الدولة من لهم ثقة بصداقة روسيا ويودون لومات إليها سياسة الدولة وهم مسلمون

والذي أحب أن يعرفه موسيو هانوتو ان سياسة الدولة العثمانية مع الدول الاوربية ليست بسياسة دينية ولم تكن قط دينية من يوم نشأتها الى اليوم وانما كانت في سابق الأيام دولة فتح وغلبة وفي آخر باتها دولة سياسة ومدافعة ولا دخل للدين في شيء من معاملاتها مع الامم الاوربية

امبراطور المانيا جاء الى سوريا للاحتفال بفتح كنيسة فبالغ السلطان في الاحتفال به الى الحد الذي اشتهر وبهر . يجيء الاسماء المسيحيون من الأوربيين الى الاستانة فيلاقون من الاحتفال مالا يلاقونه في بلاد مسيحية وينفق في تعظيم شأنهم من المال ما المسلمون في حاجة اليه أليس ذلك لمجاملتهم واكتساب مودتهم ؟ وهل بعد المودة الا الثقة بصاحب المودة ؟ كان يمكن للسلطان ان يكتبني بالرساميات ولا يزيد

(البنار ٣-١٠) الجامعة الاملاية-مادة السلطان لنصارى وسياسته ٢١٣

عليها ولكن عهد في ممالكها يفوق الرسمي بدرجات فان سلطنة ان سياسته أوربا ليست
بدينية من جميع وجوها فسياحة الدولة العثمانية مع أوربا هي كذلك ومسلموها تبع لها
فان قال قائل : ان حوادث الارمن لم تزل في ذاكرة أهل الوقت وفسبون
وقائعها الى التعصب الديني بل يقولون ان أسبابها مظالم جر اليها ذلك التعصب ؛
أمكن ان يجاب بأن العداوة مع طائفة مخصوصة لا تدل على قدائقة بكل مسيحي منها
ومن غيرها ومع ذلك فان كثيرا من الارمن في خدمة الدولة الى اليوم وهم بذلك موضع
تقنها وهذا وذاك يدل على الريب فيما يرمعون من ان منشأ تلك الوقائع التعصب
الديني فان المسيحيين سواء في الممالك العثمانية انهم حالا من المسلمين كما شاهدناه
بانفسنا ولو أنصف الاوريون لا يمكنهم فهم أسباب هذا الاضطراب الذي يظهر زما
بعد زمن في تلك الاقطار ولعلهم ان يعرفوا ان منبهه في أوربا لاني آسيا

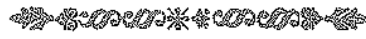
لا يفت على أن أقول ان المسيحيين في الممالك العثمانية يتمتعون بنوع من الحرية
في التعليم والتربية وسائر وجوه الخير يتنى المسلمون ان يساوهم فيه فهل هذا عنوان
سوء الظن بالمسيحيين وعدم الثقة بهم ؛ لا يليق بكاتب مثل صاحب الجريدة ان
يروى عن المسلمين كافة مثل مارواه فان ذلك مما يحزن المسلمين والمسيحيين جميعا
واني اعتقد انه عند الكلام على المسلمين لم يكن في ذهنه الا بعض أشخاص لم تعجبه
آراؤهم فيه فاستحضر في صورهم جميع المسلمين وسياستهم

ليعلم موسيو هانوتو ان جميع ما يقال له أو يكتبه بعض العثمانيين لاحقيقة له الا
في ذهن القائل أو الكاتب فلا ينبغي ان يعول على مثله في أحكامه وعليه ان يحقق
الأمر بنفسه ان كان يهيمه ان يتكلم فيه

وأما ان المسلمين أخذوا عليه فيما كتب عن الاسلام مع انه خدمهم وقوله
فكيف بمحافلهم مع من لم يخدمهم فبين له الوجه فيه ليزول عنه ماسبق الى فهمه : لو اقتصر
على الكلام في السياسة وبحث في علاقة المسلمين مع حكومته ولم يسط على الدين
نفسه في أصليين من أهم أصوله لما أخذ عليه أحد الامن ينتقد رأيه من جهة ما هو
صحيح أو غير صحيح ولكنه لم يكتب بذلك وطعن في عقيدة التوحيد وبين رداة
أنرها في المسلمين واسفل سلاحه على عقيدة القدر وبين سوء ما عجزت اليه فيهم وهو بذلك

٢١٤ قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة (المنار ٣-١٠)

يثبت ان المسلمين لا يزالون منحطين ماداموا مسلمين وهو مالا يرضاه أحد منهم لومال على المسلمين فيما هم عليه اليوم وفي انحرافهم عن أصول دينهم واكتفي بتعنيفهم على اهمالهم لشؤونهم وغفلتهم عن مصلحتهم كما جاء في حديثه الذي نحن بصدده لما وجد من المسلمين إلا معتبرا بقوله متعظا بنصيحته والسلام



﴿ قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة ﴾

(مأخوذ من ترجمة ادارة المقطم لتقريره الاخير عن سنة ١٩٠٦)

اذ قلنا ان الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست الا حركة الى الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه ولكن لا ريب في كون هذه الحركة مصبوعة صبغا شديدا بصبغة الجامعة الاسلامية . وهذا الامر كان معلوما عندي منذ زمان طويل وقد علمه كثيرون من الاوربيين الآن كما يظهر مما يرد في الجرائد المحلية ولكن عليهم به ابطأ كثيرا . ويسهل علي ايراد كثير من الشواهد والادلة على صحة هذا القول اذا اقتضى الامر ايرادها (١) ولكن أقول الآن ان الحوادث التي حدثت في الصنف الماضي انما كشفت عنصرا جديدا من عناصر الحالة المصرية . لانه ولو سلم الانسان بما لا ريب في صحته وهو ان الدين أعظم قوة محركة في الشرق (٢) وان الشرقيين لا يحلوا لهم حكومة كالحكومة الثيوقراطية (٣)

(١) اشير هنا الى كتاب ورد علي في الربيع خاليا من الامضاء ونشر في ورقة من الاوراق التي عرضت على البرلمان فقد ارتاب بعضهم في صحته ولكن لا ريب عندي في ذلك على الاطلاق وقد استغربت شدة اهتمام الناس بامره وخصوصا في بلاد الانكليز فاني ما ارسلته الى لندن الا على سبيل المثال لا فكار ومعان ألفتها منذ زمان طويل ولم يبق عندي ريب في وجودها ولكنه مفرغ في عبارات ابلغ من المعتادة (٢) أقصد بالشرق البلاد الشرقية التي لي معرفة بها لا الصين واليابان (٣) ايراد بالحكومة الثيوقراطية الحكومة التي يعتقد اتباعها ان الله هو الحاكم الأصلي فيها وان سننها وشرائعها هي اوامره ومناهيه لاسنن البشر وشرائعهم وان العلماء ورجال الدين هم خدمة الله ومأموروه فيها (المترجم)

(الناشر: ١٠) قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة ٢١٥

فقد كان يجوز له مع ذلك ان ينتظر ان تذكر المصريين لما أصابهم في الماضي واعتبارهم لتقدم بلادهم في الثروة واليسر في الحال تقدما عظيما جدا بالنسبة الى ما جاوروها من الولايات العثمانية يحولان دون نمو الجامعة الإسلامية في بلادهم أكثر مما حالا في الظاهر وإنما قلت «في الظاهر» لاني ونحنا عن كل الظواهر لا ازال غير مقتنع بأن الميل الى الجامعة الإسلامية متأصل كثيرا في الهيئة الاجتماعية المصرية بل اني واثق انه لو كان المصريون يعتقدون امكان اخراج الآراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة الى الفعل لا قلب الرأي العام عليها انقلابا عظيما سريريا

ومهما يكن من ذلك فقد اتضح ان الجامعة الإسلامية عنصر من عناصر الحالة المصرية التي يجب حفظها في البال فلذلك يحسن بنا فهم المقصود منها

المقصود من الجامعة الإسلامية إروجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق ان تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لانها يمكن ان تؤدي الى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم . وقد أوشكت هذه النيران ان تضطرم بمصر في الربيع الماضي . على اني ارى قوما يقولون ان القلق الذي جرت الاشارة إليه في مجلس النواب في الصيف الماضي كان وهميا فانا لا اوافقهم على هذا القول مطلقا لان طبع الطبقات الدنيا من اهل مصر ولا سيما سكان المدن متقلب كثيرا . فهاجوا من قراءة المقالات التي كانت تصدر في الجرائد الإسلامية طافحة بالاغراء والكذب هيجانا شديدا دفعة واحدة وسكنوا دفعة واحدة كذلك عند ما لزبدت عساكو جيش الاحتلال وطلعت الجرائد الإسلامية لمحتها بتشديد العقلاء من اهل بلادها النكير عليها . ولكن لا ريب عندي ان البلاد كانت عرضة لخطر حقيقي برهه من الزمن فقد جاءني اخبار وثقاري عديدة عن تهديد المسيحيين والاوربيين . ثم ان الاخبار الفاضلة المبهمة التي تشيع قبل حدوث القتل والقلاقل في الشرق عادة شاعت شيوعا يستحق الاعتبار حتى تولى الرعب الاوربيين الساكنين في القطر فجعلوا يتقاطرون من القرى الى المدن ولم يترهم هذا الرعب لغير سبب معقول فقد شرحت في تقريري عن

٢١٦ قول الهورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة (الطراز ١٠-١١)

سنة ١٩٠٥ (وجه ١٧ - ١٩) ما جرى في الاسكندرية اواخر سنة ١٩٠٥ حين افشى وقوع الخصام اتفاقا بين رجلين يونانيين الى شغب عظيم لم يلبث ان انقلب هيجانا على المسيحيين . فلو اتفق حدوث حادثة من هذا القبيل في ابان الهيجان الذي حصل بسبب حادثة الحدود بين تركيا ومصر - وحدوثها لم يكن امرا بعيدا - لا يمكن بل ترجيح انها كانت تقضي الى عواقب وخيمة
اما ما يقوله قوم آخرون من ان ذلك اقلق آني عن سياسة الحكومتين البريطانية والمصرية في امور مصر الداخلية فخال من كل أثر للصحة لان اقلق كله وليس بعضه فقط نتج عن تصديق خلق كثير من الاهالي الذين كانوا تحت تأثير الجامعة الاسلامية لما كان يقال لهم من ان ما كان يجري حينئذ انما كان يقصد به التمدي على رأس الديانة الاسلامية

ولقد الى ما كنا عليه فاقول : اني ان كنت لا اصدق أن الجامعة الاسلامية تنتج غير اضطراب فيران التمصب في امكنة متفرقة كما سبقت اليه الاشارة فذلك اولالاني لا اصدق ان المسلمين يتحدون معا ويتعاونون متى خرجت المسألة عن القول الى الفصل ، وثانيا لاني واثق بقوة اوربا واقدارها عند الاقتضاء على قلاني هذه الحركة من الجهة المادية وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية والجامعة الاسلامية أيضا عبارة عن معان أخرى غير معناها الاصل ولكنها لا تخلو من علاقة به . وهذه المعاني اهم بالنظر الى ما نحن فيه من المعنى الاعم الذي سبقت الاشارة اليه

فتنا أولاً في مصر الخضرع السلطان ونروج مقاصده وهذا المعنى يدل على دخول عنصر جديد في حالة مصر السياسية . فقد كانت الحركة الوطنية المصرية دائرة على مضادة الترك الى عهد قريب اذ الثورة العرابية كانت في الاصل على تركيا والترك . اما الآن فيليني ان زعماء الحركة الوطنية يقولون انهم لا يقصدون توثيق عرى الاتحاد بين تركيا ومصر وانما يقصدون حفظ سيادة السلطان على مصر . ولكن قولهم هذا يختلف عما كانوا يقولونه منذ عهد قريب جدا اختلافاً جلياً بحيث لا يتألفك الانسان عن الظن بان قولهم الآخر انما خطر على باطنهم بعدما علموا

(المادة ١٠) قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة ٢١٧

انهم اذا وسعوا نطاق الملائق التركية ابعدوا عنهم اميالا، يمتنون قربها منهم ودوامها معهم . ولكن ليس من الانصاف تقييد الحزب الوطني جملة باقوال يلقيها افراد قليلون غير مسؤولين على عواهنها . فاذا سلمنا بأن القول الاخير هو رأي الحزب الوطني الصحيح فنسدي عليه ان سيادة السلطان على مصر لم ينازع فيها قط على ما اعلم ولا يمتثل ان يصيبها شي ما دام كل ذوي الشأن في الفرمان - الذي هو اتفاق بين فريدين كما لا يخفى - لا يفضلون شيئا خارجا عن دائرة حقوقهم . فحادثة سينا انما بلغت ما بلغت من الاهمية وعظم الشأن لما خيف من خرق حرمة الفرمان وما يتصل به من المستندات الرسمية المحسوبة جزأ منه على وجه يعود بالضرر على القطر المصري

وثانياً ان الجامعة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهيج الاحقاد الجنسية والدينية الا في مائدر . فلا شك في ان كثيرين من أنصارها ينصرونها عن حوارة دينية حقيقية وآخرين يودون لو امكنهم ان يفرقوا بين القضايا السياسية والدينية وبينها وبين الجنسية أيضاً اما لأن مبالاهم بالدين قد قلت حتى أوشكوا ان يحكوا اللادريين أو لكون اغراضهم سياسية أو لكونهم يقصدون تخمين الفرص للانتفاع بها أو لكونهم اتبعوا الآراء الحديثة عن وجوب التسامح في الدين كما هو مأمولي . ولكن متى كانت هذه رغبتهم ومقاصدهم فلا شك عندي أنهم يعجزون عن تنفيذها لأنهم ان لم يقتنعوا عامة المسلمين بافعالهم أنهم من المسلمين المجاهدين لم يستطيعوا ان يحولوا انتباههم اليهم ولا ان يكتسبوا ميلهم أيضاً . فالضرورة تقضي عليهم بتهيج الاحقاد الجنسية أو الدينية اما ظاهراً أو خفية ليرقوا بيانهم السياسي

وثالثاً ان الجامعة الاسلامية تستلزم تقريباً السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي وعبادة أخرى السعي في القرن العشرين في اعادة مبادئه وضمت منذ ألف سنة (١) هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة . وهذه المبادئ منها ما يميز الرق ومنها ما يتضمن منناً وشرائع عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآراء أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أمراً أهم من ذلك كله وهو افراغ القوانين

(١) النار: اشتهر أن العبارة بالانكليزية « منذ أكثر من ألف سنة »

(المجلد المائس)

(٢٨)

(المجلد ٣)

المدنية والجناية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييرا ولا تحويرا وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام

فهذه الاسباب وقطع النظر عن كل الاعتبارات السياسية لا يجد المهتمون باصلاح مصر بدا من استنكار الدعوة الى الجامعة الاسلامية . ويجب أيضا بذل أقصى العناية في السهر على كل ميل طبيعي جائز الى الجامعة الوطنية لكيلا تجتذبه على غير انتباه من صاحبه هذه الحركة - حركة الجامعة الاسلامية - التي هي من أعظم الحركات المتفجرة فلا تستحق ان يميل أحد إليها . لانه قد يصير على الانسان ان يميز شبح الجامعة الاسلامية اذا تجلبب بجلباب الجامعة الوطنية اه كلام اللورد (المنار) ان البحث في هذا الفصل الذي أقام المسلمين هنا وأقدم بحق ينحصر في ثلاث مسائل (١) الجامعة الاسلامية نفسها وما عده من أسباب استنكارها وهو (٢) اجازة الرق و (٣) مناقضة علاقات الرجال بالنساء لآراء أهل العصر و (٤) الجود على قوانين وضعت لأهل السذاجة

١

الجامعة الاسلامية

يعرف اللورد كما يعرف جماهير القراء ان السيد جمال الدين الافغاني كان أشهر دعاة ما يسمونه الجامعة الاسلامية ذكراً، وأقوام صوتاً، وأكثرم سعيًا، وأشددم اضطلاحاً، وقد اشتهر عنه أنه كان يحاول جمع كلمة المسلمين على خليفة واحد أو سلطان منهم والصحيح أنه لم يكن يدعو الى ذلك ولم يخطر له على بال ان هذا مما تناوله يد الامكان بل قال في معرض تنبيه المسلمين وحثهم على الوحدة « ولست أعني ان يكون لهم امام واحد فان هذا ربما كان متعذراً وإنما أعني أن يكون امامهم القرآن »

وكان الاستاذ الامام أعظم أنصاره في عمله بمصر وأوروبا وقد استقر رأيه بعد السعي معه والعمل من طريق السياسة والدين معا على قاعدة « ما دخلت السياسة في عمل الا وأفسدته » وكثيرا ما قال لنا ان السيد جمال الدين كان أقدر من عرفنا على الاصلاح، وأنه لولا اقتناؤه بالسياسة لعمل عملا عظيما، وان الاساس الذي

يجب ان يبنى عليه اصلاح حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والبدع، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعا الله تعالى لتروى من شططه وتقال من خطئه، وأبه. بهذا الاعتبار يعد صديق العلم و باعثاً على البحث في اسرار الكون . ويتوقف هذا على اصلاح أساليب الفنة العربية و احيائها في الألسنة والاقلام

وقد عرف اللورد الاستاذ المرحوم وحمد طريقته هذه وشبهها في بعض تقاريره بطريقة السيد أحمد خان في الهند وقال ان حزبه جدير بالمساعدة والتنشيط من الأوربيين . والذي نعرفه نحن بعد السير على هذه الطريقة تسع سنين وأشهر ان طلاب الاصلاح الاسلامي في مصر وسوريا وتونس كلهم على طريقة الشيخ محمد عبده كما ان معظم المصلحين في الهند على طريقة السيد أحمد خان ولا يوجد في غير هذه الأقطار حركة اسلامية الى الاصلاح الا في روسيا و ايران فامامهمو روسيا فقد ثبت لدولتهم في الحرب الاخيرة وما اعقبته من الثورة أنهم خير رعاياها وأسلمهم قلوباً وهم الآن لا يطلبون من حكومتهم الا العدل والمساواة، ومن أنفسهم الا العلم والثروة . واما الفرس فحركاتهم محصورة في اصلاح حال حكومتهم وليس بين هؤلاء ولا أولئك وبين سائر المسلمين صلات سياسية ولا أحد منهم يقاوم الاوربيين وهم يسكنون الاحقاد لا يهيجونها . فالجامعة الاسلامية بالمعنى الذي يفهم من كلامه لا وجود لها في الأرض وانما يوجد في المسلمين دعوتان -- دعوة اسلامية وتنحصر فيما ينهانا آفنا وهو ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية ، ودعوة وطنية أو سياسية وهي تنحصر في مطالبة أصحاب السلطة فيهم بما يرقى بلادهم ويحفظ حقوقهم فيها ولا علاقة لهذه الدعوة بالدين بل كثيراً ما تخالفه

نعم انه يوجد في كل بلاد من القوا بين افراد يتخذون اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والخلافة الدينية والخليفة الأعظم والمالم الاسلامي وغير ذلك من الكلمات أناشيد تستمال بها النفوس لتعظيم القائل أو لبذل المال له وقد يرمي كلامهم شيئاً مما أشار اليه اللورد واننا جازمون بأن هؤلاء لا عمل لهم في الاسلام بخشى أو يرحي هؤلاء دعوة لهم نطاع أو تعصى وانما مثلهم كمثل أصحاب تلك الاناشيد

في مدح الأولياء وفي الزهد في الدنيا التي يستعطفون بها الناس ويستندون بها
أكفهم ومن خشي منهم لفظه . وقد أغنانا عن التلويل في هذه المسألة ما قلناه
عن الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو القول الفصل فيها

٢

﴿ مسألة الرق ﴾

يقول الله ان الشريعة الاسلامية تميز الرق، وتقول نعم إنها أجازته ولكنها
ما فرضته فرضاً، ولا أوجبتة إيجاباً، ولا نذبت إليه نذراً، ولا استحبته استحباباً، بل
تقول ببارة أو حجة: أنها لم تجعله كما يخشى اللورد دينا يتقرب به الى الله فيقال ان
المسلمين لا يتركونه بل أقوت البشر- وكلهم كانوا يسرقون - على ما في أيديهم
من الارقاء وشرعت لهم العتق وتحرير الرقيق وجعلت ذلك دينا يتقرب به الى
الله عز وجل فخارة على سبيل الوجوب والحتم الذي لا بد منه وتارة على سبيل التدب
ما أجازت الشريعة الاسلامية الرق الا لأنه قد يكون موافقاً لمصلحة من
يسرقون كأن يقتل الرجال في حرب شرعية ويبقى النساء والأطفال بدون عائل
ولا كافل فقد يكون من الخير والمصلحة في مثل هذه الحالة ان يسرقوا للعجز عن
الاستقلال في الحياة فاذا تسرى الرجال بالنساء وولدن لهم كما هو الغالب زال
رقهن اذ يمتنع انتقالهن الى ملك آخر ويعتن بموتهن ولا يكون حالهن معهم في الحياة
دون حال الزوجات بالعقد واما الاطفال فانهم يكونون بمثابة الأ ولاداذ المشروع
في هذا الدين ان يكون الرقيق مساوياً لمولاه وأهل مولاه في أكله ولبسه وعمله وورده
في الحديث النهي عن تسميتهم بالبيد والإماء ثم حثت الشريعة على العتق حثاً شديداً
وجعلته كفارة لكثير من الخطايا ومن أفضل النذور ومحلاً للحث باليمن وهي
مع نفيها في الاسترقاق جعلت الرق خلاف الأصل حتى ان أي رقيق ادعى أنه
حرة حراً بمجرد دعواه الا ان يثبت مدعي ملكه أصل رقيقته (ومن أراد زيادة
البيان في هذا فليرجع الى المجلد الثامن من المنار)

وجملة القول ان الاسلام لم يأمر بالاسترقاق ولكنه أمر بتحرير الارقاء
وعتقهم ولم يوجب ذلك على الناس دفعة واحدة لما فيه من المخرج الشديد على المالكين

والارقاء جميعا فان السادة الذين تعودوا ان يقوم عبيدهم بجميع شؤنهم لا يمكنهم ان يتركوا هؤلاء العبيد دفعة واحدة لأن نظام معيشتهم يحتل ، وشمل مصالحهم يتفرق ، كما ان العبيد الذين تعودوا على كفالة غيرهم لهم وكفائهم أمر الماش يصعب عليهم ان يعيشوا بالاستقلال اذام اعتقوا مرة واحدة كما حصل في أمريكا فان الحكومة لما أبطلت الرق تميز كثير من الارقاء في أمر معيشتهم ورضي كثير منهم بأن يظلوا عند مواليتهم كما كانوا ، وما كانوا يعاملون بما يأمر به الاسلام في مثل حديث الصحيحين وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال اني سأيت رجلا (يعني بلالا) فصرته بأمة وفي رواية فقلت له يا ابن السوداء فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان شكاه بلال ذلك « يا أباذر أعبرته بأمة ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكفوم ما يظلمهم فان كفتموه فاعينوه » وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الايمان للاشارة الى ان معاملة الرقيق بهذه المعاملة من شعب الايمان وأورده أيضا في المتق والأدب

أما والله لو وجد الرق الذي يميزه الاسلام وعومل الرقيق بما يأمر به الاسلام لتمنى ألوف من الناس الذين يموتون جوعاً في مثل شوارع لوندون فسادونها من المدن والقرى في كل مملكة أن يكونوا أرقاء يشاركون أهل النعمة والثراء في أكلهم ولبسهم وعملهم كما أمر الاسلام في مثل هذا الحديث

أين هذا من أمر التوراة بالرق ومن سكوت السيد المسيح عليه السلام عن الوصية به بمثل ما أوصى بعده أخوه محمد عليه السلام بل بعشر . معشاره على ما كان عليه الارقاء في عصر المسيح من الظلم والاضطهاد . يقول بطرس في رسالته الاولى « ١٨:٢ أيم الخدام كونوا خاضعين بكل هبة للسادة ليس للصالحين المرفقين فقط بل للعناء أيضا ١٩ لأن هذا فضل ان كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل احزاناً متألماً بالظلم . لأنه أي مجد ان كنتم تظلمون مخطئين فتصبرون بل ان كنتم تألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دعيت » وقال بولس في رسالته الى أهل أفسس « ٥:٦ أيتها العبيد أطيعوا ناداتكم حسب الجسد بخوف وورعة في بساطة

قلوبكم كما للمسيح» الخ وفي رسالته الى أهل كولوسي ٣: ٢٢ أيها العبيد أطيعوا في كل شيء ما تدركون حسب الجسد لا بمخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب» وغاية ما أمر به السادة ان يقدموا للعبيد العدل والمساواة فلا يفضلوا بعضهم على بعض فأين هذا من أمر الاسلام بالمساواة بينهم وبين السادة أنفسهم وبجمل الطاعة في المعروف لا في كل شيء . وقد نص الاسلام على كون الطاعة لا تكون الا بالمعروف حتى للنبي صلى الله عليه وسلم في آية المبايعة (١٣: ٦٠) ولا يعصيتك في معروف (وهو صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف كما وصفه تعالى في قوله (١٥٧: ٧) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)

وجملة القول ان الاسلام أجاز الرق ولم يأمر به ولكنه أمر بالتق والتحرير وان الديانتين اليهودية والنصرانية أجازتا الرق أيضا ولم يردفيهما من الأمر بالتق وتحرير الرقيق ولا بحسن معاملته مادام موجودا بمثل ما أمر به الاسلام . فإذا سهل على الدول النصرانية إبطال الرق ولم يمنعها الدين فهو على المسلمين أسهل لأن الدين لا يكتفي بعدم منعهم منه بل يحثهم عليه . فدينهم أقرب الى هذه الفضيلة المدنية من جميع الأديان فلا خوف عليها منه وإنما الخوف على كل فضيلة من الأحكام الظالمين الذين يسيئون التصرف بالشرائع والقوانين

٣

﴿ علاقة النساء بالرجال ﴾

جاء الاسلام وجميع الأمم تهضم حقوق النساء على تفاوت بينها في ذلك فكان أكثر الرجال يمدون المرأة كالأمة أو المتاع ومذهب علماء الاجتماع ان الناس كانوا في أمر الزواج كالبهائم في أطوارها المختلفة فكانوا أولا يبيعون كل انثى لكل رجل وكان أول الاختصاص بزوجة أو زوجات بالسبي واحتكار القوي من تعجبه من النساء واستشاره بها وعدم السماح لغيره بملامستها الا ان يكون ذلك باذنه ولا يزال في البشر من لا يرى بمثل هذا الاذن بأسا . ولما صار للزواج روابط وأحكام دينية أو عرفية قيدت المرأة فيها بقيود لا ترفعها عن مرتبة الأمة عند الأكثرين وبقي في تقاليد كثير من الشعوب والقبائل ما يدل على أصل السبي

وخطف المرأة . وكان كثير من الرجال يتزوجون بنساء كثيرات لا يتقيدون بعدد و يطلقون من شاؤوا متى شاؤوا بلا تأثم ولا حرج وما جاء في اليهودية والنصرانية من الاحكام والوصايا لم يرفع قدر المرأة ولم يقربها من مساواة الرجل في الحقوق والاستقلال بشؤونها وقصارى ما تفاخرنا فيه النصرانية منع تعدد الزوجات وتحريم الطلاق الابلة الزنا

أما الاسلام فقد جاء باصلاح لم يسبق اليه ولم تبلغ كنهه أوربا في مدنيتهما حتى اليوم . اذ لا تزال تحجر على المرأة ان تتصرف حتى بما لها بدون اذن الزوج ويرجع هذا الاصلاح الى آيات من الكتاب العزيز

(إحداها) قوله تعالى « ٣٠ : ٢٠ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وعلى هذه الآيات بنينا مقالات « الحياة الزوجية » التي نشرناها في المجلد الثامن وتكلمنا فيها عن الطلاق وتعدد الزوجات

(الآية اثنائية) قوله تعالى « ١٩ : ٤ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن نفسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

(الآية الثالثة) قوله عز وجل « ٢٢٨ : ٢ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وإبراجع تفسيرها في (ص ٨٣٦٨م)

(الآية الرابعة) قوله جل شأنه « ٢ : ٤ : ٣٥ وإن ختم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما » (الآية الخامسة) قوله وسمت رحمته « ٢ : ٢٢٩ فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان »

(الآية السادسة) قوله تبارك اسمه « ٤ : ٣ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان ختم أن لا تعدلوا فواحدة » الآية ويلاحظ مع هذه الآية « ٤ : ١٢٩ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصن » (الآية السابعة) قوله جل ثناؤه « ٤ : ٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون مما قل منه أو كثر نصيبا

مفروضا ، فجعل المرأة تملك وتصرف كالرجل وفي الحديث ان المرأة تملك ولا يحمل للرجل أكل شيء مما تملك الا باذنها وطيب نفسها

فهذه الآيات يشبه أن تكون هي أصول الاصلاح وفي معناها آيات منفصلة وان أوروبا المدنية على مبالغتها في تكريم النساء لم تقم هذه القواعد ولم تأت بكل ما أمر به الاسلام في ذلك بل لم نصل الى درجة جاهل فقهاؤنا الذين يفرضون على الرجل للمرأة كل شيء تحتاجه بحسب الاستطاعة ولا يفرضون عليها له الا موافقاته بالاستمتاع بها وعدم خروجها من داره بدون رضاه وهما واجبان سلبيان فكأنهم لا يوجبون على المرأة عملا ما لزوجها بل يمدون كل عمل عمله في ادارة بيته فضلا منها واحسانا فهل وصل الاوربيون الى هذه المبالغة في تكريم المرأة ؟

كلا انه ليس في شريعة المسلمين من أحكام الزوجية وآدابها الا ما لا بد منه لسعادة البيت وان يان هذه الاحكام التي وضعت اساسيات تلك الآيات منذ ثلاثة عشر قرنا وربع قرن آية على كون الاسلام شرعا إلهيا لا وضعا بشريا

بيان ذلك انها قد خوطب بها الناس في عصر كانوا أقرب فيه الى البداوة فأفادهم رقا وتهذيبا بحسب استعدادهم ثم أننا نرى أن أعلى ما وصل اليه البشر من الرقي في الحضارة هو دون ما تهدي اليه تلك القواعد والاحكام من الكمال الاجماعي ولعلمهم يصلون اليه في يوم من الايام . وما منع الا فرنج الذين استعدوا لهذا الكمال من رويته في القرآن الا ذاك الحجابان الكشيفان دونه وهما المسلمون الذين صاروا باعمالهم وأفكارهم حجة عليه، وغلبة الافكار المادية على أكثر الباحثين يظهر ان الشعور الذي كان مستوليا على اللورد عندما أفلتت تلك العبارة من

قلمه كان مزيجاً متولداً من الفكر في اعتقاد جمهور العالم الأوربي في الاسلام والمسلمين والفكر في كثرة الشكاوى التي ترد عليه في ظل المجامع الشرعية وما يقاسيه فيها النساء المطلقات ، والضرائر المهجورات ، وطوالب النفقات ، وما يلاقين في باب القاضي من الاهانات ، وما يقاسين من جهود القضاة على التقاليد والعادات ، وإنها لحالة تحرك عصب الرحمة في الفؤاد ، وعצל اللسان بالانقذار ، ولكن تسمية اءشار الذنب في ذلك على المسلمين وعشره على بعض آرائهم الفقهية . والاسلام

نفسه بريء من كل لائمة يشكو منهم بلسان كتابه المنزل أضعاف ما يشكو جميع المتقدين، وأني يسمعون شكواه وقد ضربوا دونه سورا من التقليد له باب يسمى باب الاجتهاد، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب؟ قد أقفلوه بأيديهم، فنصروا بذلك رحمة الله أن تصل إليهم،

طالما انتقد الأوروبيون على الاسلام نفسه مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات وهما لم يطلبوا ولم يحمدا فيه وإنما اجيزا لأنهما من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير مرة وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وإن لم يشرعه لهم كتابهم الائمة الزنا. وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصلحة النساء أنفسهن كأن تقال الحرب كثيرا من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون الخير لمن ان يكن ضرائر ولا يكن فواجرا يأكلن بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك لمصائب ترزحن ألقاها وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام من نساء الانكليز الكائنات الفاضلات، يطالبن في الجرائد بإباحة تعدد الزوجات، رحمة بالعاملات الفقيرات، وبالغيا بالمضطرات، وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت احدها في جريدة (لندن ثروت) مستحسنة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشارقات الا بتعدد الزوجات، وما كتبت الفاضلة «مس أني رود» في جريدة (الاسون ميل) والكاينة «اللاي كوك» في جريدة (الايكو) في ذلك (راجع ص ٤٨١ م ٤)

ان قاعدة اليسر في الامور ورفع الحرج من القواعد الاساسية لبناء الاسلام (٢: ١٨٥) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - و - ٥: ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج (ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر تلجى - الى الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الخاصة) كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امثاله دفعة واحدة لاسيما على من اعتادوا المبالغة في تعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من المفاسد فلم يبق الا ان يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط

(المخرج ٣) (٢٩) (المجلد العاشر)

انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تحقته ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له ان أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي

وجملة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالكمال الذي لا بد ان يعترف به جماهير الاوربيين ولو بعد حين كما يعترف به بعض فضلائهم وفضلياتهم الآن . وأما المسلمون فلم يلتزموا هدايته فصاروا حجة على دينهم ونحن احوج الى الرد عليهم والعناية بارجاعهم الى الحق منا الى اقناع غير المسلمين بفضل الاسلام ، مع بقاء اهله على هذه المحازي والآثام ، اذ لو رجعوا اليه ، لما كان لأحد ان يتعرض عليه ،

٤

الاحكام المدنية والجناية ، في الشريعة الاسلامية

يفرق كتاب العصر بين الدين والشريعة فيضنون بالدين الاعتقاد والعبادات والفضائل أي ما يراد به إصلاح الأرواح وإعدادها لسعادة الآخرة أولاً وبالذات وان كان يفيد في سعادة الدنيا أيضاً، ويضنون بالشريعة ما يسوس به الحكم الناس ويفصلون به بينهم في الخصومات أي ما يراد به إصلاح أحوال الاجتماع السياسية والمدنية والجناية . ومن المعروف ان موسى جاء بدين وشريعة ومعظم ما جاء به أحكام دنيوية وان عيسى جاء بدين فقط وأقر اليهود على شريعة موسى وان ما جاء به محمد (عليه وعليهما الصلاة والسلام) جمع بين الأمرين . ويعتقد الافرنج ان المسلمين لا يفرقون بين الدين والشريعة لان كلامها إلهي عندم ولما كانت الأمور الدنيوية تختلف باختلاف الزمان والمكان حتماً كان من المحال ان توضع لها شريعة تامة توافق مصلحة الناس في كل زمان ومكان وهذه مسألة لا يختلف فيها عاقلان ومن ثم يعتقد الافرنج انه يستحيل على المسلمين أن يجارروهم في مدنياتهم ماداموا يعدون شرعهم التي عليها مدار أمور دنياهم إلهية لا يجوز فيها التفسير والتبديل ولا يفرق فيها بين حال البدو في الصحراء ، وحال من بلغوا من الحضارة ذروة الارتقاء ، يعدون حكمهم رؤساء يتقرب الى الله

بطاعتهم فلا يعارضونهم في استبدادهم بهم ولا يأنفون من استعبادهم إياهم
لو اعتقد القوم فينا اننا لانرتقي مادامنا على شريعتنا وتركنا شأننا لما بالينا
ولكنهم يعرضون لنا في شؤوننا ويقتلون علينا في خاصة أنفسنا زاعمين ان المدنية
التي سفكوا في وسائلها دماءهم ، ووقفوا على مقاصدها حياتهم ، وبذروا بذورها
في الشرق ، بعد ان جنوا ثمراتها في الغرب ، لا يرجى ان تنمو لها نبتة ، ولا ان
تحتفظ لها بذرة ، في مكان للشريعة الاسلامية فيه سلطة ، ينشرون هذه الآراء
بالكتابة ، ويشيئونها في النفوس بالتعليم والخطابة ، وقد يضيفون اليها الطعن في
قسم العقائد حتى التوحيد والقدر كما فعل موسيو هانوز وغيره . منهم من ينطقه
الاعتقاد ومنهم من تملي عليه السياسة والسياسة تبيح المحرم وتحمل الكذب وتقلب
الأوضاع وتأتي المنكرات

ويقول العارفون بحقيقة ما عليه الشعوب الأوربية من الحرية العالية ان السواد
الأعظم منهم لا يكابر الحق ، ولا يرضى بالظلم والهمضم ، وان رجال السياسة في
كل شعب منهم قد يمتثلون في اقناعه بما تقضي به السياسة من مخالفة الحق والعدل
احيانا ليجيز عملهم . وان من أمكنه ان يقنع هذه الشعوب بحق من الحقوق العامة
فانه يجد له منهم خير نصير ، وأقوى ظهير ،

على هذه الطريقة جرى شيخنا الاساذ الامام (رحمه الله تعالى) في مناظراته
القولية والكتابية لعلماء الافرنج وساستهم كرنان وهانوز وغيرهما فقد حجج واقنع
منهم جبلاً كثيراً بان الاسلام جاء باصلاح يوافق مصلحة البشر في كل زمان
وكذلك فعل في ردوده على الشاذين من أهل الشرق الذين يقولون في الاسلام
بغير علم . ويعلم قراء المنار اننا لانألو جهداً في بيان التوفيق بين عقائد الاسلام
وآدابه وأحكامه وبين العقل والفطرة والمصلحة واننا نبني هذا التوفيق على ما جاء
في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي مضت بالدوران مع المصلحة
في كل حال بحسبها لا على ما جاء في كتب الفقهاء من الآراء التي أدام اليها
اجتهادهم ومنهم الخطل فيها والمصيب . ونحن عاجزون عن الانتصار لكل ما في
كتب الفقه كما نتصير لكل ما جاء في الكتاب وما مضت به السنة النبوية . على

ان ما ينتقد على الآراء الاجتهادية في فقها ينتقد مثله على القوانين الوضعية ولكن المنتقدين يقولون لنا ان ما يظهر خطأه في القوانين يسهل الرجوع عنه وما يظهر خطأه في الفقه يتعذر الرجوع عنه لأنه في عرفكم من الدين وهو قول لا يمكن دفعه مع الجود على التقليد فهدم التقليد شرط يتوقف عليه كل إصلاح يطلبه عقلاء المسلمين مع المحافظة على الاسلام ونشره في عالم المدنية المصرية، والجمع بينه وبين العلوم والمعارف التي عليها مدار العمران والعزة. وإن طريقتنا هذه يؤيدها خيار المسلمين من أهل الدين والدنيا كالسلفيين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين. وأكثر المعلمين على الطريقة المصرية سواء منهم المتدينين حقيقة والمتدينين جنسية. وقد صار الذين يصرحون بذلك كثيرين. وأذكر من الشواهد عن العصر بين قول أحمد شوقي بك شاعر الأمير عباس حلمي باشا في منظومته التي رفعها إليه يهته فيها بميلاد ولي عهد الامارة (الأمير محمد عبد المنعم)

ويا جيل الأمير اذا نشأنا وشاء الجد ان تعطى أوشنا

فقد سبلا الى العليا شئ وخل ذلك الدين القويما

وضن به فان الخير فيه وخذه من الكتاب وما يليه

ولا تأخذه من شفي قفيه ولا تهجر مع الدين الطوما

فهذه وصية من شاعر الأمير الى ولي عهده يأمره فيها باتباع الكتاب والسنة وعدم اتباع الفقهاء وقد رضيها الأمير أعزه الله ولم ينكرها

ليست طريقتنا هذه بخفية على الافرنج فقد كتبت الجرائد الفرنسية عن رحلة الاستاذ الامام الى تونس والجزائر ما يدل على انها عارقة بخطة راضية بها واذكر ان آراءه في الإصلاح الديني تشر في بعض المجلات المصرية تعني بها المنار وقد كتب في الجرائد الفرنسية في تونس وأوربا وفي غيرها من الجرائد الأوروبية شيء عن مذهب المنار ومنه ما كتب في المجلة الفرنسية في أوائل سنة ١٩٠٥ وهذا مانعه:

(المنار) أسس في القاهرة سنة ١٨٩٧ أسسه الشيخ محمد رشيد رضا أحد كتاب المهلبيين المشهورين. تلميذ الفيلسوف المصري الكبير الشيخ محمد عبده مفتي الديار

المصرية وهو لا يبحث في الجملة الا في المسائل الدينية والفلسفية وغايته التي يرمي اليها هي تعليم المسلمين دينهم على أنقى صورة له نافيا عنه الأوهام والخزعبلات والبدع القديمة وقد قل الشيخ محمد عبده ان دين الاسلام في شكله الحقيقي هو غاية ما يطلبه الانسان من الكمال - هذه هي خطة المنار وهو مجلة تصدر في الشهر مرتين

وجاء في عدد آخر منها

(المنار) الصادر بالقاهرة في شهر فبراير (أي من سنة ١٩٠٥)

أهم مقالة في هذا العدد تبحث عن مثال للحكومة الاسلامية وكاتب هذه المقالة صالح بن علي الياضي وهو كاتب هندي (١) قد بين فظائع الحكومة المطلقة التي مقبها القرآن والنبي وقد بين هذا الكاتب ان الحكومة الاسلامية كانت في زمن الخلفاء الاولين ديمقراطية محضة وان الخليفة نفسه كان يتقده نواب الامة الذين كانت مهمتهم مراقبة سيره مراقبة شديدة

الاسلام لا يقبل من شكل الحكومة الا الملكية المقيدة والجمهورية والجملة أن كل ضرب من ضروب الحكومة المطلقة يديره أي حاكم مسلم كائنا من كان ليس من الاسلام في شيء . جاءت هذه المقالة عقب جزء من تفسير القرآن للشيخ محمد عبده هـ اه

والمراد مما تقدم ان الباحثين في أمور الشرق من الاوربيين عارفون بمرامي طلاب الاصلاح من المسلمين وأنهم يريدون الرجوع بالدين الى ما كان عليه في أول نشأته غير متقيدين بما وضعه العلماء من التقاليد التي قد تحول دون مجارة أهل هذا العصر بل مسابقتهم في علومهم وهديتهم لأنهم يرون ان الكتاب والسنة يحثان على ذلك لا يحولان دونه والمقلدون للفقهاء يرون غير ذلك . ولا يقتل ان يكون اللورد كرومر غير عارف ماعرفه كثير من الأوربيين الذين لم يقيموا في الشرق كما أقاموا ولم يكتبوها أمر المسلمين كما اكتتبه فان كان بهذا لاختبار كله يقول للأوربيين ان رجوع المسلمين الى أصول شريعتهم المدنية وعملهم بما يرجع

(١) هو هندي الموطن عربي الاصل يقيم في حيدر اباد

بهم الى طور السذاجة المضاد للحضارة فان قوله هذا أعظم صدمة للإصلاح الذي ندعو اليه لأن كلامه في ذلك يؤخذ بالقبول عند الامم الأوربية كلها ويخشى ان يناهضوا الدعوة الى الإصلاح في بلادهم ولا شيء يدفع ذلك الا كلام من اللورد نفسه

لهذا وقعت علينا عبارة التقرير في القوانين الاسلامية كالمصاغة وأخذنا نجعل قداح الفكر فيها فرأينا بعد طول التأمل أن العبارة وان كان المبادر منها أنها في الاسلام نفسه - كتابه وسنته وفقهه وكل شيء - فيه يتعلق بالمعاملات - يجوز أن يحمل على الفقه وحده لأن احكام المسلمين لا يحكمون الا به اذام ارادوا الرجوع الى الاسلام وإنما قلنا يجوز ان يكون هذا هو مراد اللورد وان كانت عبارته مطلقة تفيد ما هو أعم من هذا وتشمل الاحوال الشخصية لأن التمسك بالفقه هو الذي رآه المانع من اصلاح المحاكم الشرعية كما بينا ذلك بالتفصيل في مقالة نشرت في المجلد السابع من المنار (ص ٢١٢) استشهدنا فيها بما قاله في تقريره عن سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٣

وبشيء من محاضر مجلس شورى القوانين

من ذلك ان أحمد بك يمحي (أحمد باشا الآن) اقترح تأليف لجنة لوضع تقرير في إصلاح المحاكم الشرعية فقال الشيخ حسونه النواوي « اني لا أعلم ان المحاكم الشرعية تحتاج الى الإصلاح في أمر من أمورها » قال في محضر الجلسة « تقرر بالاغلبية التصديق على رأي الشيخ حسونه النواوي » وقد ذكر اللورد هذا في كلامه عن المحاكم الشرعية في تقرير سنة ١٩٠٣ وهو مع ذلك أعلم الناس بكثرة شكوى المسلمين من هذه المحاكم

ومن ذلك ان قاضي مصر قال لما طرحت مسألة إصلاح المحاكم الشرعية في الجمعية العمومية سنة ١٩٠٤ مانعه « قد سمعنا المقترحات المتعلقة بالمحاكم الشرعية ونقول ان أعمال تلك المحاكم ترجع أولاً الى الشرع الشريف وهذا لا يمكن لمسلم ان يقول انه يحتاج الى اصلاح » الخ

فأمثال هذه الاقوال من كبار الفقهاء هي التي جعلت اللورد كرومر يعتقد ان هذا الفقه الذي يحكمون به قد صبح كله بصبغة الدين فلا يمكن تنقيحه وهو يعتقد قطعاً انه لا يرافق مدينة هذا العصر ولا ينطبق على مصالح أهلها ، اما أصل

(الخاص - ١٠) كتاب صاحب المنار الى اللورد كرومر ٢٢١

الدين وهو الكتاب العزيز والسنة النبوية فقد يعتقد فيه ذلك وقد يكون مصداقا لطلاب الإصلاح في قولهم لا ينافي المدنية ويدل على الاخير حجة الاوربيين على مساعدة حزب الشيخ محمد عبده الذين يطلبون اصلاح من غير مس لأصول الدين . وقد حدثني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انه كان يكله مرة في هذا الموضوع بمناسبة مقاومة الجامدين لاصلاح المحاكم الشرعية فأقام المرحوم له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل صلاح ويناسب كل زمان فقال له اللورد أتصدق بأستاذي أنني أعتقد ان ديننا أوجد مدينة جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون أساسه العدل وهذا محال ولكنني أعلم ان هذه المقاومات أمور « اكبر كية » أي تقاليد كتقاليد الكنيسة

تذكرنا هذا فقلنا في نفسنا لعل اللورد لا يقصد بعبارة التقرير ما يتبادر منها لتلا يتناقض ذلك مع ما ذكرنا آنفا ولكن هذا لا يمكن ان يعرف الامن قبله فكنتنا اليه كتابا نسأله أي الامر ينمي بعبارة : هذا نصه

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد العظيم

أحييك بما يليق بمكانتك وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك وأرجو ان تمن علي بوضع دقائق من وقتك الثمين نجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو هل غيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشريعة الاسلامية التي وضعت منذ أكثر من الف سنة الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية أم غيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء ؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضا وقد ترك حكم المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الإصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب . وإن كنت تعني الاول فهذا العاجز مستمد لان يبين لجنابكم ان معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة وهي

١٣٢ كتاب القورد كروم الى صاحب المنار (المنار ٣-١٠)

نوافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان أساسها دواء الفاسد وجلب المصالح
بحكم الشورى - وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المعظم) راجع الى
ذلك. وأختم رقيبى مودعا لجنابكم بالتحية والاحترام
منشيء المنار بمصر
محمد رشيد رضا

كتبنا اليه هذا ونحن نتمنى لو يبيننا بأنه يرى أصل الدين من معارضة
المدنية ونمخشي أن لا يفضل - ذلك باننا نعتقد ان كلامه في الاسلام يؤثر في جميع
الشعوب الأوربية مالا يؤثر كلام غيره فاذا هم اعتقدوا بشهادته ان الاسلام نفسه
يتفق مع المدنية ويسير مع العدل وأن السبب فيما يرى من سوء حال أهله هو ما ألصقوا به
من التقاليد والآراء وجعلوه بهذا الالتصاق ديننا فان هذا الاعتقاد يكون أكبر عون
لنا على خدمة الاسلام والدفاع عن أهله الذين أصبح معظمهم تحت سلطة الأوربيين
واذا هم اعتقدوا العكس كان ذلك اشد منفر لهم عن الاسلام وحامل لهم على إلزام
حكوماتهم بالضغط على رعاياهم . وكنا عازمين على ان نكتب اليه رسالة في بيان
ان ما جاء في الاسلام من الاصول الأساسية للاحكام الدنيوية يوافق مصالح
البشر في كل زمان ونقدمها اليه مترجمة بالانكليزية ونسأله باسم العدل والانصاف
ان يبدي رأيه فيها - كنا عازمين على هذا لواجابنا بأنه يعني بما كتب الاسلام
نفسه أو مجموع ما عليه المسلمون من كتاب وسنة وقه لأنه يعتقد ذلك ولا يخاف
في اظهار اعتقاده أحدا ولكنه تفضل بالجواب الآتي بنصه العربي موقعا ومورخا
بخطه الافرنجى وهو

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار
جوابا على خطابكم أقول اني عنيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي
تسمونها الفقه لأنها هي التي تجري عليها الاحكام ولم أعن الدين الاسلامي نفسه
ولذلك قلت في هذا التقرير الأخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي
الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس أصول الدين . ولعل العبارة
الى كتبنا بتقريرى كانت موجزة فلم تود المراد تماما واقبلوا يا حضرة الاساذ
احترامى الفائق
في ٤ مايو سنة ١٩٠٧
كروم

واقارىء المنصف يرى ان ما استدلل به على كونه لا يريد بما كتب الدين الاسلامي نفسه معقول لا يمكن دفعه بعد تصريحه بأن عبارة التقرير لم تؤد مراده تمام الأداء . والانسان أعلم بمراد نفسه . غاية ما كان يقال ان مراد القائل يعرف من قوله وقول اللورد في التقرير يشمل الفقه وينابيعه من الكتاب والسنة . ويقال الآن انه استثنى تلك الينابيع بقول آخر مبين لمراده من القول الأول فليعتبر هذا القول تصحيحاً أو تخصيصاً لسابقه أو استدراكاً عليه . ولعل أهل الفيرة الصحيحة على الاسلام ينشرونه في الجرائد الأوربية ليطلع عليه الأوربيون الذين قرأوا التقرير فانه خير لنا من شهادة بعض المستشرقين بفضل الاسلام لأن المستشرقين يهتمون في أوربا بالتمصب للشرق وأهله . ولا يحد من يحدون اللورد كروم عدوا اذا هم قصر وافي نشره اذ يقال لهم ان شهادة العدو لك أقوى من شهادة الصديق ، على انه بلغنا من مصدر يوثق به ان شيخ الأزهر قال للورد عند ما زاره مودعاً له : انا قرأنا العبارة التي ترجمت عن تقرير جنابكم في الاسلام فلم نجد فيها طعناً فيه ولا مسا لكرامته : أو ما هذا معناه ولعل مراد الشيخ ان ما ذكر من اجازة الرق ومناقضة أحكام الزوجية لا راء أهل العصر وكون الأحكام المدنية الجنائية لا تغير كل ذلك صحيح وحسن عند المسلمين فان لم يستحسنه المخالفون فذلك لا يعبه فاذا كان مناقضاً لآرائهم فهو موافق لآراء أهل . ونحن معاصر طلاب الإصلاح لا نقول بهذا ونعده طعناً بغير منه الاسلام دون الفقه ووافقنا اللورد على ذلك أما ما يجب أن يعتبر به المسلم العاقل في هذا المقام فهو اننا نعلم علم اليقين انه لو تيسر للمسلمين انشاء حكومة اسلامية لما رضي جمهور علمائهم ومن ورائهم العامة ان يحكم فيها بغير هذه الكتب الفقهية بما فيها من أحكام الرق والزوجية وغير ذلك على علانه . ومن أكبر علاته الخلاف الكثير في المسألة الواحدة واختلاف التصحيح والترجيح فيها حتى ورد في بعضها بعد ذكر تصحيح قولين متناقضين في مسألة من مسائل الطلاق «نحن مع الدرهم قلة وكثرة» أي ان المرجح لاحد القولين المصححين في المذهب هو الدرهم التي يأخذها المقتي من أحد المستفتين

بلغ من جهود فقهاء على هذه الكتب التي يوجد فيها مثل هذه الفضيحة

أنهم يمدون المدخل عنها الى كتاب يوضع خاليا من مسائل الخلاف موافقا لحال الزمان
جناية على الدين نفسه . ومن عجائب هذا الجلود أن شيخ الاسلام العثماني لا
يفتي بمجلة الاحكام المدنية ولا يأذن لاحد من المفتين الذين يعينهم بالفتوى
منها واذا ذكر شيء منها في فتوى فلما يذكر بعد النص الفقهي من الكتب
المعتدة عندهم . على ان الدولة لم تعمل عملا شرعيا أفضل من وضع هذه المجلة
فن لنا بجمعية من العلماء العقلاء تدرس بعد التمكن من علم الكتاب والسنة والفقه
قوانين الامم ثم تستخرج من هذه الشريعة كتابا يفوقها عدلا وسهولة وموافقة
لصالح البشر في هذا العصر يكون حجة ناطقة على كل من ينسب القصور الى
الشريعة أو الدين . وينبغي أن تعزل فيه الأمور الدينية عن القضائية أو يترك في
أول كل باب من أبواب المعاملات أو كتبها ما هو ديني منها كأن يقال في كتاب
المعاملات المالية ان الله حرم أكل أموال الناس بالباطل والنفس والحياة وأكل
الربا اضافة مضاعفة وأوجب الوفاء بالعقود وأداء الامانات الى أربابها . ويذكر
في أول باب القضاء تحريم الظلم والرشوة وكون حكم القاضي بالشيء لا يجعله المحكوم
له اذا كان يعلم أنه ليس له . اما هذا الفقه فهو على ما فيه من محاسن حجة علينا
لاننا بما فيه من المساوي والى الله المشتكى

انا نحن المسلمين قد أمسينا ولا مثل أصدق علينا من قول ابن دريد

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب أخطى فارتى

اذا أحس نبأ ربيع وان تطامنت عنه تمادى ولها

فنحن نرتع في غفلات الزمان ما وجدنا مرعى فاذا صاح بنا نذير تقلبات
الزمان نراع ونهضل وقد نصرخ من الدعر ، أو نتفج انتفاج الهر ، فاذا سكنت
نبأ النذير ، عدنا إلى سابق التقصير ، نرتع ونلعب ، ونلهو ونطرب ، بل نتاري
بالنذر ، ولا نستفيد من العبر ، بل نقول ولا نعمل ، واذا وجد العامل لإحياء
الدين ، واقامة حجة على المخالفين ، فاننا نخذله مع المخذولين ، أفرضى ان نكون
في حكم القرآن من المقتولين الذين يقولون ما لا يفعلون ، أو المناهقين الذين يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ۝

حاشية باب المناظرة والمراسلة

﴿ تشبيه كتاب الأحياء بالقرآن ﴾

حضرة السيد منشيء المنار محمد رشيد افندي سلمه الله وعافاه
يزعمون ان الامام النووي قال في حق الأحياء : كاد الأحياء أن يكون قرآنا؛
وقوله الشيخ عبد القادر العبدروس باعلوي في كتابه « الأحياء في فضائل الأحياء »
المطبوع في هامش الأحياء . ولا شك أن الأحياء كتاب عزيز قلما يكون له مثل
ولكن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف
يقاس كلام المخلوق على كلام الخالق . ونحن نستغرب جدا صدور القول من النووي
وان كان غير معصوم من الخطأ . وقد كنت طالعت في زمان مضى شرح مسلم
لهذا الامام الجليل ولكن لا (انمطار) أي رأيت فيه ما يقرب من هذا القول وليس
عندنا من سائر تأليفاته شيء . ولذلك جئنا نستفسر رأيكم في هذا الامر وهل القول
المذكور منقول من النووي بالسند الصحيح أو رأيتموه في آثاره المتداولة في
ذلك الاصقاع بأنفسكم . ويا حبذا لو كتبتم في هذا في المنار فقلنا نستفيد منه
ويستفيد غيرنا ولكم في ذلك جميل الثناء وكثير الاكرام .

عضو الجمعية الشرعية ببلدة اونا سابقا ومخرج جريدة « وقت » ببلدة أورنبورغ حالا

رضاء الدين بن فخر الدين

(المنار) ليست عبارة النووي رحمه الله تعالى بالمكان الذي وضمتموها فيه
وإن صحت نسبتها اليه فانها لا تدل على مساواة كتاب الأحياء لكتاب الله ولا
على كونه يقاس به وإنما هي عبارة يقصد بمثلها المبالغة واعتبر بحديث أنس عند
أبي نعمان في الحلية « كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يثلب القدر »
فأنت ترى ان الحديث لا يمكن حمله الا على المبالغة المبهودة في الاسلوب العربي
بمثل هذا التعبير وضمف منده لا ينافي مجيئه على أساليب العرب وقوانين البلاغة
فمضى العبارة المعزوة الى النووي ان كلام الأحياء يؤثر في القلوب ويرغبها في الهداية
بحيث يصح ان يقال فيه بلسان المبالغة انه قريب من القرآن في ذلك

الانتقاد على النار

كلته ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٥

فضيلتو أفندم صاحب مجلة النار المحترم

من بعد إهداء التحية أقول حيث أفدناكم في خط خصوصي قبل هذا بأن
غرض الفقير من مكانتكم والاشتراك في مجلتكم هو الوقوف على حقيقة قصدكم من
انكار تقليد أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في فهم معنى الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة ليس إلا ترجوكم الافادة عن ماذا كان قصدكم اظهار المخالفة ليعرفوا فنعذرهم
اذ لستم أول من خالف لهذا الغرض وان كانت الآخرة خيراً وأبقى وقد يضطر
الإنسان في اليأس قوته الى ما لا يجوز « إلا ما اضطررتم اليه » فان كان هذا قصدكم فنحن
نكتفي منكم بالاشارة ولو من طرف خفي لعلنا ان ساحة عفو الله واسعة ورحمته
وسعت كل شيء وعليه فنكف البراع عن الاسترسال في موضوع ولجتموه مضطربين
وان كان قصد حضرتكم هو رد الأمة الى الصواب لما تحقق عندكم وثبت لديكم من
خطأ الأئمة الأربعة او أحدهم في فهم كلام الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة
فالأمول من غيرتكم على الشرع الشريف ان يبينوا لنا في أي موضوع أخطأ
الأئمة أو بعضهم في فهم ماذا ذكر فان بينتم لنا ذلك فالأصل ان نفيدونا عما اذا
كان أصحاب المخطئ منهم أجمعوا على موافقته على الخطأ أو على مخالفته بحيث
تركوا العمل بقوله بالمره وصار العمل على خلاف ما ذهب اليه أم اختلفوا فمنهم من
خاف ومنهم من وافق فان كان الأول فإننا نلتبس من فضيلتكم مع الاحترام
لشخصكم ان نعرفونا أولاً رجه خطأ الامام في فهم معنى الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة المجمع عليها وثانياً محل اتفاق أصحابه معه على الخطأ من ذلك العهد الى
عهدنا هذا فان عرفتمونا عن ذلك ولا أخالكم فاعلمين تبين لي صحة قصدكم
وسلامة نيتكم وشدة غيرتكم على الأمة المهدية وحرصكم على انقاذها من هادي
الضلالة وحينئذ أضف صوتي مع صوتكم قياماً بالواجب وعلى الله انما المقاصد
« كشم خير أمة » الآية « من رأى منكم منكراً » الحديث وان لم تفعلوا كما هو
الراجح علما ان القصد غير صحيح والنية غير سليمة وانما القصد اظهار المخالفة

تحيلاً لالتماس القوت وهنا بحسن بي ان أقول لحضرتكم ان انتظابكم في سلك محوري الجريدة يغنيكم عن ارتكاب هذا الشطط الذي يأباه مقام من يدعى بفيلسوف الاسلام مرة وبالمصلح أخرى وان كان الثاني وهو اتفاقهم على مخالفة امامهم فيما اخطأ فيه أو الثالث وهو اختلافهم في ذلك فقد تحقق لدينا ان القوم لم يجابوا امامهم ولم يأخذوا اقواله تضاييا مسلحة ولم يتبعوه الا فيما تحقق لديهم بالأدلة الصحيحة لأنهم لا يعتقدون عصمته بل الامام نفسه لا يعتقد لنفسه العصمة من الخطأ ولذا لا نجد اماماً الا وقد خالفه أصحابه في كثير من المسائل وضمف له اتباعه كثيراً من الاقوال فسلام يلام المشوع وهو مقر بمجاز وقوع الخطأ منه وبأي دليل يأخذ التابع وهو لم يراع لامامه في مقابل الحق حرمة وان قلت أيها المصلح نحن لا نفتقد ان الاثمة أو أحدهم لم يفهموا معنى الكتاب والسنة بل فهموا ذلك غير أنهم أو أحدهم قد يسلك سبيل القياس في مقابل نص القرآن أو صحيح السنة أو إجماع الصحابة بلا ضرورة ملجئة فنقول ان كان لديكم شيء من ذلك ففضلوا بتحريره لتكون لكم من الشاكرين ولحطتكم ان كان حقاً من السالكين وإياكم واتباع الهوى وسلوك خطة المكابرة أو المغالطة فإننا عند ذلك معرضون ولحق راضخون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هذا وان تفضلتم على الفقير المذنب بالجواب عن اعتقاده في أن وقوع الخطأ من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد الذين قد قلدهم في فهم معنى الكتاب والسنة جمهور الأمة الاقليلا ممن اغوام الشيطان من زمن غير بعيد أقل منه ممن أصيبوا في عقولهم وزين لهم الشيطان أنهم ادركوا من أسرار الشريعة ما لم يدركه هؤلاء الاثمة حملة الشرع الشريف وان تقليد أحد الاثمة المذكورين أولى من تقليد من ذكرنا من الفواة على فرض أنهم على شيء من العلم والتقوى هل أنا الفقير مصيب في هذا الاعتقاد أم لا بينوا توجروا ودهتم أفندم

محسوبكم المطيع

أحمد موسى المنوفي بكلكته

(النار) تعجلنا بنشر هذه الرسالة برمتها على مجيئها قبيل آتام النار وعلى قيام الفرائض السابقة واللاحقة عندنا بل الدلائل الناطقة على سوء اعتقاد صاحبها بنا

وظنه أنه قادر على دحض حجتنا والتفكير عن خطتنا بل على كونها ليست على شرطنا في انتقاد النار وهو أن يذكروا لنا المنتقد لنا شيئاً مما نشرناه ويبين بطلانه بالدليل أو يطالبنا بالدليل عليه إذا نحن أوردناه غفلاً . وليس منه أن يحاسبنا على نيتنا وكسبنا أو يعرض بسبنا وثلبنا أو يمتنع لنا رأياً ويسألنا عنه . نشرنا الرسالة على هذا كله لتبين لمسلها أن ما فيها ليس بالشيء الذي يسمى انتقاداً وانا . فيما نحن عليه من البصيرة . لينة في الدين لا نحفل بقول من يقول أو يكتب انا نخطيء . الائمة الاربعة وان كان ذلك مما يفر عن النار جواهر العوام ونشيرين ممن يمدون من الخواص الذين يحلون هؤلاء الائمة إجلالاً خيالياً تقليدياً لا يوازي مشار إجلالنا الحقيقي لهم رحمهم الله وجزاهم خيراً

وأول ما قوله في الجواب أن طريقنا التي جرينا عليها في النار ليست من الوسائل التي يلتبس بها «القوت» - لو كنا معوزين - لانها مخالفة لأهواء الأكثرين وآرائهم مظنة لأن تكسب سوقها فيهم وانما يلتبس القوت من يلتبس منه أصحاب النفوس الصغيرة من حملة الأقلام بما يرضي الجمهور . وقد صرحنا في مقدمة النار بأننا انشأناه ونحن نتوقع عدم رواجه وان أهل الخبرة والرأي أنذرونا ذلك ثم ظهر لنا صدق ذلك وظل النار أربع سنين لا يأتي من اشتراكه الاجزاء قليل مما ينفق عليه وهو الآن على سعة انتشاره لا يعد ربحه مقصوداً لمن يقدر أن يربح بغيره اذا تركه اضعاف ما يربح منه وقد تمر السنين ولا نطالب أكثر المشترين بقية الاشتراك بل نترك ذلك لاماتهم وما هذا شأن من يعمل لأجل القوت . ولنا من محوري الجريئة كما قال في فضوله الذي يشبه سائر أقواله في كونه رجلاً بالقب . ثم انا لقينا من الإبهاء في سبيل النار ما يعرفه الكثيرون إجمالاً أو تفصيلاً ولا نطيل في هذا فان الاخلاص صلة بين العبد وربّه ومن لم يرب في دعوتنا الى انتقاد ما نكتب ونشر ما يتقده علينا آية على أننا لا نريد إلا بيان الحق فله أن يسيء الاعتقاد بنا كيف شاء وعلينا أن نسأل له العفو والمغفرة والهداية من الله تعالى . ثم إننا تكلم في المقصد فنقول ملخص الجوهر في كلامه انا ننكر على من نظروا فيما فهم الائمة الاربعة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فاتبعوا منه ما رأوه صواباً وردوا ما رأوه خطأ وسعي

هذا الانباع تقليدا وهو لو وجد لا يمد تقليدا ونحن لم ننكر ذلك قط فإن أصر على زعمه فليبين لنا مكانه من المنار وأما نكر التقليد في الدين وهو الأخذ بقول القائل من غير دليل لما قام عندنا من الحجج والدلائل على بطلانه وبذلك قال الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم، وما أجاز التقليد الاضعفاء المقلدين الذين خالفوا أئمتهم في استباحة التقليد . أما كون الأئمة أصابوا في فهم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فهو لا يمنع بطلان التقليد في نفسه اذ لا ينقض دلائله بل وبما يؤكده لأن ما جاز لهم جاز لغيرهم لأنه ليس وحيا اختصهم الله به وجعله فوق كسب سائر البشر بل هو أمر ممكن يتناوله كسب كل كاسب وإن تفاوت الناس فيه و « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والحق أن المجتهد منهم ومن غيرهم يخطئ ، ويصيب بل قال أهل الأصول ان اجتهاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد يقع فيه الخطأ ولكن الله لا يقرم عليه بل يبين لهم الحق فيه وأني للأئمة الأربعة وغيرهم بذلك . والمقلدون يأخذون بما صح في مذاهبهم وإن بحث العلماء فيه ويندوا بخالفته للدليل وليراجع أصول الكرخي أما الدلائل على بطلان التقليد فقد بيناها بالتفصيل في مقالات خاصة وفي تفسير القرآن وفي كثير من الفتاوى وغيرها فلا سبيل الى إعادتها هنا بل عليه ان يراجعها في مجلدات المنار السابقة وله بعد ذلك ان يدعن لها وأن يرد عليها ان استطاع ونحن نعدده بنشر رده في المنار بشرط ان لا يتعدى البحث في الموضوع الى ما ليس منه كما فعل في هذه الرسالة . ومن اقدم ما كتبناه تفصيلا في ذلك « محاورات المصلح والمقلد » وفيها نصوص الأئمة في بطلان التقليد لهم ولغيرهم وهي مطبوعة على حديثها في كتاب فله ان يطلبه من مصر وثمنه مع اجرة البريد روبية واحدة وقد طبع في هذه الايام اجزاء من كتاب « الأم » للإمام الشافعي وعلى هامشه مختصر صاحبه الامام المزني وهو مفتتح بهذه العبارة بعد البسملة « قال أبو ابراهيم اسامعيل بن يحيى المزني رحمه الله : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه علي من اراده مع اعلاميه تهيئه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه وبالله التوفيق » ثم ماذا يريد المتقدم من حصره الانكار في تقليد الأئمة الأربعة فيما فهموه

من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ؟ هل يريد أنه يجب تقليد ما فسروا به القرآن وشرحوه بالحديث وأقوال الصحابة وعدم تقليد ما اجتهدوا فيه الأحكام التي لم يصرحوا بأخذها من هذه المصادر الثلاثة ؟ إن كان يريد هذا وهو ظاهر عبارته الأولى فقد هدم معظم الفقه الذي يدين الجمهور بتقليده خصوصاً فقه الحنفية والا فليدنا على تفسير الامام أبي حنيفة للقرآن وشرحه للأحاديث وأقوال الصحابة ليقولها من يتبع رأيه الجديد ويترك ما عداها من مسائل الفقه المأخوذة بالقياس والاستحسان . وإن كان يقول بقول عامة المقلدين أنه يجب تقليد ما في هذه الكتب من غير القيد بالالتفات الى ما أخذها مما هو معنى العبارة الأولى . الموضوع طويل الأذيال واسع الأردان صنف العلماء فيه مصنفات كثيرة وأحسن ما رأيناه فيه هو ما كتبه الامام ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) المطبوع في الهند وتلقانا كثيراً منه في المجلد السادس فعلى المنتقدان يقرأ ما كتبنا وما كتب هذا الامام وغيره في المسألة ثم يكتب بعد ذلك ما يظهر له أنه الحق إن كان طالباً له . ولعل ان جماهير المسلمين قد أهملوا الاهتداء بالكتاب والسنة اكتفاء بهذا الفقه ثم أهملوا هذا الفقه فقل فيهم من يتعلمه وقل في متعلميه من يعمل به حتى صار الاسلام عند الاكثرين جنسية لا هداية وقد أخذم الله بذنوبهم واننا نعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا ترجى لهم هداية الا بدعوة الكتاب والسنة والرجوع بالدين الى ما كان عليه في عهد السلف ولا نرى حائلاً دون هذا الا التقليد الذي صار على بطلانه في نفسه سيما بلا مسمى وهو مع ذلك لا يزيد المسلمين الا تفرقاً واختلافاً وضمناً وهلاكاً فنحن نحاول هدمه وندعو المسلمين كافة — لا المتبعين الى المذاهب الاربعة فقط — الى الاهتداء بما لا خلاف فيه بين أحد منهم لعلهم يرجعون . واننا لا نجهز لأحد أن يقلدنا كما يتوهم المنتقد وغيره من الذين يتبعون فينا الظن وانما نحيل الجميع على الكتاب والسنة ومن قرأ كلامنا بانصاف عرف ذلك والله الموفق

كتبه اليناعن بلاد العرب ان الدولة العلية ظهر لها بعد رجوع العسكر ثم المفتشين من نجد لإخلاص ابن سعود لها وما كان من كذب ابن الرشيد وغشه وارسل ابن سعود يطلب الاستانة وقد ألى السلطان مؤلفاً من صالح بن عدل و ابراهيم بن عبدالعزيز بن رافع وخدمهما وهم أربعة ولما وصلوا البصرة أكرمهم الحكومة جداً وسافروا على نفقة . وأخيراً كتبت الدولة لابن سعود والظاهر أنها تطلب منه فيه تأديب قاتلي أولاد ابن الرشيد ظلماً وعدواناً

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيستمعون أحسنه
أو تلك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر ربيع الآخر سنة ١٣٢٥ - آخره الثلاثاء ١١ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٧ ﴾

تاريخ المصاحف

بقية ما كتبه موسى افندي جارا الله الرومي

ثم أصيب الاسلام بموت عمر وولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر وسمى الساعون في إيقاع الخلاف بنشر الاختلاف فدعت الحال الى نشر المصاحف المكتوبة على مشهد من الصحابة عظيم فجمع الصحابة وكانت عدتهم يومئذ بالمدينة يزيد عن اثني عشر الفا فطلب المصحف من حفصة أم المؤمنين واحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكتبوا خمسة مصاحف من غير تغيير ولا تبديل عما كان عليه المصحف الذي كتبه زيد بأمر أبي بكر . وما ورد عن عثمان في الاقال وبراءة فابداه عما كان يراه قبل من انهما سورة واحدة اذ لم يقف على بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد عثمان النسخ الاول وقد وقع الاجماع فيه على هذا الترتيب ولم يبد عثمان خلافا فيه ولو كان له رأي يراه ملوجب عليه ان يظهره وما جرى بين عبد الله بن عباس وبين عثمان من سؤال وجواب فحكاية ما كان يراه عثمان قبل . وعين زيدا ان يقرئ بالمدني ويثبت عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وابا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن قيس مع البصري . وقرأ كل مصر بما في مصحفه على هؤلاء الصحابة ، ونسخوا من هذه المصاحف الخمسة مصاحف لا يحصى عددها فلم يبق في الامكان كيد الكائدين ولا وهم الواهين بقي عثمان كذلك اثني عشر عاما حتى مات وبموته حصل اختلاف وابتدأ أمر الروافض . ثم تولى الامر علي وملاكه وتقي خمسة اعوام ونسبة أشهر خليفة مطاعا غالب الامر ساكنا بالكوفة والقران يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم به الناس والمصاحف معه وبين يديه ، ثم بعده ابنه الحسن . وكان علي يثني ثناء على أبي بكر وعثمان فيما فعلا في المصاحف . ولو كان وقع من أبي بكر وعثمان تغيير في شيء بنقص أو زيادة (ولا يمكن ذلك لامتناع تواطىء الكثير المتفرق على التغيير في شيء فلو وقع من أحد لظهر ولاقتضح المرتكب من ساعته) لا قدر على مذلة التحمل والصبر عليه بعد ما تولى الامر وهو الذي قاتل أهل الشام في رأي يسير رآه ورأوا خلافة . وعلي شهد النسخين ورأس في كلا الوقتين

فأب القبول فيمضيا نافذ الرأي حائز الجلايا

فلا يمكن ان أبا بكر وعثمان قد اسقطا بعض ما نزل في أهل البيت . ولم يكن أبو بكر وعثمان الا كثيرهما من الصحابة في شأن جمع القرآن . ولو كان نزل شيء في أهل البيت لتواتر كسائر الآيات وكنتم ماشاع وذاع أمر محال لا ينطاع (١)

وعلماء الامامية رحمهم الله تعالى اجل من ان يقولوا قد وقع نقص في القرآن بمكر أبي بكر أو أمر عثمان . والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه والسيد المرتضى علم الهدى ذوالجهد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي والقاضي نور الله في مصائب النواصب ، والامام الطبرسي في مجمع البيان ، هؤلاء اعلم علماء الامامية واعلام أمتنا الاسلامية ، قد قالوا بامتناع وقوع التغير في القرآن وقالوا ان السلم بتفاصيل القرآن واباضه كالملم بكلمه وجملته . فمن رام في اسقاط بعض آيات نزلت ، فليسمع أولا في رفع كل القرآن وكنتم اخبار اتشهرت . وما نقل عن بعض علماء الشيعة من سقوط بعض آيات نزلت فلا أرى ان ذلك كاف وأيا لم يروونه انما ذلك من جملة بقايا اخبار كانت تنشر من عند الذين يحبون ان تشيع الفاحشة والفتنة في المسلمين ، ومن عند الذين يبنون خبالا ويسعون فسادا في الدين

وقد كانت مثل هذه الاخبار أنفع وسيلة في الحصول على اغراضهم السياسية فجازوا فوزا عظيما في دعوتهم ، ونالوا فوق ما أملوا في كسر شوكة الامة الاسلامية وتقريب وحدتهم . وقد دس هؤلاء من أباطيل الاخبار شيئا كثيرا في الدين قد تلفاه واغتر به قوم من أهل الخير فادخلوه في دواوين الاحاديث والاخبار واسفار السنن والآثار .

وقد من الله علينا اذ جعل فينا رجلا عدولا ميزوا سنن نبينا عن موضوعات الاخبار وأكاذيب الآثار ، فستونا من بين فرث ودم لبنا خالها سائنا للشاربين . هذا وكل ما ذكرته من تاريخ القرآن والمصاحف فهو حق لان الامر كاف ووقع كذلك ومن ادعى اتصاف الشمس في النهار فأنا عليه ان يشير الى ما هناك ومن خالف فلا يمتد به فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم نقلوا اخبارا ظنوا صحتها لا يرجع بثقلها عن المعلوم المقطوع بصحته والى قوم اتوا بأقوال لا يقوم لها من عالم الشهود شاهد ولو اتانا ساكننا مسلحكم واستجزنا التدليس على انفسنا وارتكبنا ما لم يرتكبه سلفنا

(١) يريد المؤلف بهذا الرد على ما ينقل عن بعض غلاة الشيعة من زعم كتمان

الصحابة لايات ادعوا انها نزلت في آل البيت عليهم السلام كما سيصرح به

لأننا بما يئس به خصومنا أسفاً . لكن يكفيني بيان الحق ان تأتي بما كان ، وليس من شأن العاقل ان يتمسك بما بعد عن الحق وبأن . وحيث وفيما الموضوع بحون الله تعالى بما استطعنا من البيان . وكان ذلك خير ما جئنا وخيار ما اقتطفنا من حدائق الايمان ، وأينا من واجب الاحسان علينا ان تأتي بما يدل على امتناع وقوع التحريف في القرآن . ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في اجمال ما فصله العلماء في ذلك ، وان نجتمع ونلتقط ما انتشر في صحائف الدواوين من هنا وهناك .

البرهان الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم اتقل والصحابة أوف مزلفه ما منهم احد الا وهو يحفظ قسما وافرا من القرآن . وفيهم مئات يحفظونه كله بتمام الضبط والاتقان عن ظهر قلب . ثم ان الكثير منهم تشتتوا أثر ذلك في الاقاليم ، وانتشروا في الاقطار استبداناً بمواطنهم الاصلية . أو تعينوا لعمل من الاعمال الملكية والدينية ، ثم نسخت المصاحف ووصلت الى هذه الاعداد الكثيرة في المدن والبلاد ، فلو كان وقع تغيير في كلمة أو تحريف في حرف لظهر واثارت الامة وهاجت الخواطر على جامعي المصاحف وقاتلوه قتلًا ولا رد كثير من الناس لان ادساس اقل تغيير فيه بجمل العباد . أو وقوع تصرف فيه بالافكار وكيد أهل الفساد . يقضي بانه غير منزل من عند الله سبحانه وتعالى . لكننا لم نسمع ان أحدا من مسلم وغيره عارض في شيء من القرآن وادعى ذلك فيه . ولو وقع حبة تغيير فيه في العصر الاول لوقع تغييرات في العصور الاخيرة على سنن قانون الطبيعة في التمسك . لكن القرآن قضى من أجله ثلاثة عشر قرناً وزيادة ، وملأت المصاحف وجه الارض وطباقها ولم يوجد مصحف يختلف عن الآخر بحرف واحد .

البرهان الثاني : ان القرآن أكبر دلائل النبوة ، به ظهر الدين وعز شوكة المسلمين . هو آية ظلت اثنان الجبابرة لها خاضعين ، فاذعنوا له بمحض الجناح طائعين لا واهمه ، عاملين باحكامه . فلا يمكن ان يرضى الامة تحريف شيء منه ولو كان دونه بذل المهج والنفوس .

البرهان الثالث : من ألم بتاريخ الصحابة ونظر نظرة في صحاح الاحاديث يعلم أنهم العلم ما كانت عليه الصحابة من غاية الاعتناء ونهاية الاهتمام في حفظ القرآن وضبطه حتى مقادير المدات . وتفاوت الامالات ، ويعرف ما لهم من مزيد العناية ، في ضبط الاحاديث والرواية . حفظا وكتابة ومن وفور الاحتياط وعظيم الثبوت عند ادائها وتبليغها للامة .

والعقل يحكم طوعاً بالقسط ، وضرورة باليقين ان الجمل الفير والجمع الكثير الذين أخذوا القرآن تلقياً عنه عليه السلام في تضاعيف عشرين سنة ، وضبطوه حفظاً في الصدور وثبتا في الصحائف والسطور لا يجوز عليهم التخليط فيه ولا التفسير . وشعر الاقدمين مع انه لا يمكن ان يظهر ظهور القرآن ولا ان يحفظ كحفظه ولا ان يضبط مثل ضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسها للقرآن لو زيد فيه بيت أو لفظ أو غير فيه حرف أو حركه لبرأ منه أصحابه وأنكره أربابه . وطعن فيه عارفوه ، وجحدوه راووه . وقد شوهده ذلك في كثير من الاشار والخطب والاراجيز يعرفه من يعتني بلفه العرب وروايلها .

فان كان ذلك مما لا يمكن في شعر الاقدمين فكيف يجوز وقوعه في القرآن مع العناية الصادقة والضبط المتقن والعلم بانه دليل النبوة ونور الشريعة وملجأ الامة . البرهان الرابع : ان العلم بالقرآن كله وجملته فاق في الوضوح والاشهار أشهر المتواترات من كبار الحوادث وعظائم الوقائع ومهمات الامور وحواضر الاحوال . والعلم بآيات القرآن وسوره وقاصيله وابماضه عند حفظه ورواته في العصر الاول كالمسلم به كله وجهته : فان العناية اذ ذاك توفرت . والدواعي اشتدت . والنراخ انبعثت الى حفظه الراسخ وضبطه المتقن . والغايات تباينت والاعراض اختلفت : فمنهم من يضبطه لاتقان قراءته ومعرفة وجوها وصحة ادائها . ومنهم من يحفظه لاستنباط الاحكام وبيان تعاليم الاسلام . ومنهم من يقصد بحفظه معرفة تفسيره وممانيه والوقوف على غامضه وغرائبه . ومنهم من يعجبه بالغ فصاحته وفائق بلاغته ورائق اسلوبه وشائق نظمه وعجيب تأليفه . ومنهم من يحفظه استلذاذاً بتلاوته واستجاباً في كرامته وتقرباً بقراءته وتعبداً بدراسته . ومنهم من يحفظه لجرد التشفير بشرف حله والقيام بواجب ادائه وتعليمه وهو الاغلب .

فبالضرورة لا يمكن على أهل هذه الهمم العالية والاعراض المتناوطة والغايات المتباينة مع كثرة اعدادهم وتباعد بلادهم ان يجتمعوا على التحريف والتغيير ويتواضعوا على التبديل

البرهان الخامس : لا يخفى على الخبير بعلوم القرآن وطرقه الثابتة انه لم يقض عصر الرسالة الاوتابع التابعون وأخذوا عن الصحابة مباشرة وقل فيهم من لا يحفظ كل القرآن . وكان الرجل لا يكون عظيم في الاعين ولا يفسد صاحب حديث مالم يحفظ عشرات آلاف من الحديث . فتبعوا حفظة الصحابة في كل زمان ومكان

فما بانهم ان محابا كذا يحفظ آية كذا بلغة كذا من اللغات التي نزل بها القرآن (وسأين معنى اللغات والاحرف في القرآن بما لا أظن ان الحق يعمده ان شاء الله) الا ارتحلوا اليه وتلقوا عنه حتى جمعوا القراءات التي قرأ بها القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء قرن كان حفظ القرآن عندهم كأنه أمر لازم . وكان اقطار حوافظهم قد امتدت ودوائر احاطتهم قد اتسعت . فكثرت فيهم من يحفظ مئات ألوف من الحديث ومن يحفظ من أشعار الجاهلية وأيام العرب وخطبها وأمثالها وأراجيزها مالا تسعها ضخام الاسفار كانوا يحفظون كل ذلك لاجل القرآن وعلومه فوضوا علوم الرسوم والتجويد والقراءات وعلوم الدين وكل مبادئها

وكان من أساس دينهم في الله تشديد التنكير على البدع وشدة الاعتصام بالسنة الثابتة والحفاظة على ماورد والوقوف عند حد أمر ثبت . وما مضى قرن الا وجاء الذي يده عمقا باحثا في علوم القرآن . جاريا على ما جرى عليه سلفه . كل انسان أحاط بعلوم القرآن خبرا يعلم ان طرقه ورسومه واختلاف رواياته كلها توقيف لم يتصرف فيها أحد بشيء . فوقع التحريف في القرآن من مثل هذا لامة غير ممكن . البرهان السادس : الصدر الاول كان عاظا بالاعداء من اليهود وغيرهم . وكانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا عموما وللتي عليه السلام خصوصا . واقفين له ولقومه بالمرصاد ناصين لهم حياثل الفتن موغرين عليهم صدور الناس . فلو عثروا على أدنى تحريف أو تغيير لشنوا على جامعي المصاحف غارة الفتنة . وشنموا عليهم في جميع القبائل . ولكان ذلك من أعظم الفرص المساعدة على آهامهم في نظر الامة . وأكبر الوسائل المؤدية الى تفرق الجامعة الاسلامية وتشيت كتبها

كانت مدينة النبي عليه السلام خاصة بالمناققين كان عرفهم بسيماهم ويعرفهم في لحن اقوالهم كانوا يحضرون في مجالسه يسمعون منه ويقرأون في من قرأ ويصلون مع من صلى

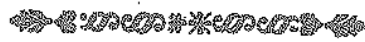
وهم في كل لحظة يثوبون هفوة تصدر منه ليتخذوها ذريعة الى رد الناس عن الايمان به . وقد صاحبوا أصحابه بعده ولم يسمع ان واحدا منهم قال بتغيير حرف من القرآن وهم أولى الناس بذلك واقدروا على فرض وقوعه لسماعهم الاصل من النبي . وتابع الفتن المساعدة لهم في طعن الدين بأكبر المطاعن .

أمة غربت اقوال نبيها ونخلتها . ويبحث فيها بحث تدقيق وتقصي . وروى

(المنار - ١٠) الخلاف في العبادات وحقيقة السنة والجماعة ٢٦٥

من اخبار العصر الاول ما عليها قبل قل ما لها . أمة ضايتها بكلام ربها اضاف غايتها بأحاديث نبيه يستحيل عليها انها عكفت على هذا الدين وفي القرآن أقل تمييز قاض انه ليس من عند الله .

أمة اذا سمع ملها يتا من الشعر واستطلع معناه قال هذا مأخوذ من قول فلان الجاهلي أييب عنها البحث في القرآن هل وقع فيه تفسير وشي جديد . أو هو باق على ما كان عليه تنزيل من حكيم حميد اه



﴿ خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة ﴾

﴿ لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام ثقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه ﴾

﴿ مقدمة لصاحب المنار ﴾

شرع الله تعالى لعباده على السنة جميع رسله ان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ولكنهم كانوا يتفرقون في كل أمة فيزول ما أريد بالدين من معنى الاجتماع والائتلاف حتى اذا ما شرع الله لهم الدين العام الذي هو خاتمة الأديان شدد فيه التفسير من التنازع والتفرق والاختلاف وأكد الامر بالاعتصام والاتحاد ولائلاف وقال لخاتم النبيين (١٥٩: ٦) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) ومع ذلك لم تسلم هذه الامة من اتباع سنن من قبلها والاختلاف كما اختلفوا أو أشد . ولما وقع الخلاف وكثرت المذاهب وصار لكل فريق أنصار يخالفون الآخرين ويطعنون عليهم امتاز أهل الحق المعتصمون بحبل الله بالدعوة الى الاجتماع والائتلاف والتباعد عن التنازع والفرقة وجعلوا المرجع في ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله عز وجل (٥٩ : ٤) فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) فكتاب الله ثابت لا نزاع فيه وسنة رسوله معلومة لا خلاف فيها فما جرى عليه وتبعه فيه أصحابه على طريقة واحدة بلا خلاف بينهم يمتنع فيه الخلاف من المؤمنين وما اختلف فيه العمل كان المؤمنون مخيرين فيه لا ينازع أحد منهم أخاه إن أخذ غير ما أخذ هو به وكل جائز

٢٦٦ الخلاف في العبادات وحقيقة السنة والجماعة (الناشر: ١٠)

وقد سمي هؤلاء بأهل السنة والجماعة لأنهم يحكمون السنة العملية المتبعة فيما هو حتم وفيما هو مخير فيه ويختارون الاجتماع والاتفاق على الخلاف والافراق ولذلك كان من مزاياهم التباعد عن تكفير أهل القبلة وتضليلهم لأجل الخلاف والعمدة عندهم في صحة الايمان وولاء أخوة الاسلام هو الاخذ بالمجمع عليه في العصر الاول المعلوم من الدين بالضرورة ويعذرون من أخطأ فيما عدا ذلك

ثم إن علماء أهل السنة قد كانوا ينظرون في وجوه الترجيح بين ما اختلف فيه عمل أهل العصر الاول أو الرواية عنهم فيأخذ كل واحد ما يراه أرجح مع كونه يعذر من يأخذ بغير ما اختاره هو لا سيما إذا كان رأياً لا رواية ثم حدث في الامة التقليد ومار كل فريق يتمصب لعالم من أئمة علماء الامصار من بعدهم فعاد بذلك التفرق والاختلاف المقوتان عند الله الى المتسبين الى أهل السنة والجماعة ووجد بذلك أهل البدع ما وجدوا من المطاعن عليهم وعلى مذهبهم بل كان ذلك مما طه به في أصل الدين

سبق لنا قول في هذا الخلاف ومضاره ورأي في تلافيه واتقاء أخطاره أودعناها مقالات محاورات المصلح والمقلد (التي جمعت من المنار وطبعت في كتاب مستقل) وأيدناه بما كتبه حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم من الدعوة الى إزالة الخلاف بالاخذ بالمجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحرمة ويؤدي كل ما أجمع على وجوبه ويفعل ما سهل عليه مما أجمع على نديه واستجابته ولكن المرزوقين بالتعصب للمذاهب يسهل عليهم قطع أخوة الايمان بسبب خلاف في رواية أو رأي مما لم يجمع عليه المسلمون وهم مع ذلك يتركون بعض الفرائض ويرتكبون بعض المحرمات ويحسبون ذلك أهون من الخلاف في الدين

وقد قرأنا في هذه الايام رسالة لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مسألة الخلاف في العبادات وحقيقة السنة والجماعة فأثرنا نشرها رجاء ان ينفع الله بها المسلمين (٥١ : ٥٥ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) قال رحمه الله تعالى وأما به

(المنار ١٠-١٠٠) مفاسد التنازع والخلاف في الرواية والرأي ٢٦٧

(قاعدة) في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية ولرأي مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشاثر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون

(أحدها) جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه والذي أمرهم باتباعه (الثاني) ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيرهم عليهم أمانة بنهيم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على ما لم يبغيضهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثره حتى يقدمون في الموالاة والهبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك

(الثالث) اتباع الظن وماتهمى الانفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(الرابع) التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والاتلاف حتى يصير بعضهم يبغيض بعضا ويماديه ويحب بعضا ويرأيه على غير ذات الله وحتى يبغيض الأوصياء بعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز ويبعضهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح ويبعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرمها الله ورسوله والاجتماع والاتلاف من أعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن

٢٦٨ آيات النهر عن الفرق والأمر بالاعتصام (المفارقة - ١٠)

الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - الى قوله - ولا تكونوا كالذين
 تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات - اولئك لهم عذاب عظيم * يوم تبيض
 وجوه وتسود وجوه (قال ابن عباس) يبيض وجه أهل السنة والجماعة وتسود
 وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بمخروجه عن
 السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ومن أهل الفرقة بالفرقة
 المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
 شيعا - لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما اءلف فيه الا الذين أوتوه من بعد
 ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الدين) أوتوا الكتاب الا من بعد
 ما جاءتهم البينات وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة
 ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام وما
 اختلف الدين) أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاء العلم بغيرها بينهم) وقال تعالى
 (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيرها بينهم) وقال
 تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة) وقال تعالى
 (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) وقال (اءالم المؤمنون اخوة فاصلحوا بين
 أخويكم) وقال (الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وهذا الاصل
 العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا يفرق هو من أعظم أصول الاسلام
 ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه

ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صل الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شياء يكرهه فليصبر عليه (١) فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبئكم بأفضل من درجة

(١) لعل المراد بالشيء الذي يذكره مالا يخالف الشريعة لا سيما في أحاديث كثيرة ان الطاعة في المعروف وعلى ذلك بايموه وهو المصوم وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(المادة - ١٠) طعن الناس في أهل السنة والجواب عنه ٢٦٩

الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « صلاتهم ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » وقوله « من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد أن يفرق جماعتكم فادبروا عنقه بالسيف كائناً من كان » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطوا فلكم وعليهم » وقوله « ستفرق هذه الأمة على اثنتين وسبعين فرقة منها واحدة: حية واثنتان وسبعون في النار - قيل ومن الفرقة الناجية قال - هي الجماعة يد الله على الجماعة » وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فإنه وقع بين أمثالها وعلماؤها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وإن كان بعض ذلك مغفوراً لأصاحبه لاجتهاده الذي ينفرفيه خطاه أو الحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة وبذلكرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجزئ تقديم العمل به هو الاجماع فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة (١١ وع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعض ما عليه أهل الإسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة قلعهم وروايتهم نارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الأول فقد علم الله الذر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذلك حيث يقول (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) حفظه من أن يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة فعصم حروف التنزيل أن ينبري وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضاً سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما ليس فيها من الكذب عمداً أو خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه الذين فحسوا عنها وعن نقلتها ورواها وعلوها من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا محتمين على ما تناقوه بالقبول منها إجماعاً معصوماً من الخطأ لأسباب

يطول وصفها في هذا الموضع وعلوهم خصوصاً وسائر علماء الأمة بل وعامتها
 عموماً ما صانوا به الدين عن أن يزداد فيه أو ينقص منه مثلاً علموا أنه لم يفرض
 عليهم في اليوم واليلة لا الصلوات الخمس وإن مقادير ركعاتها ما بين الثلاثي والثلاثي
 والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الأشهر رمضان ومن الحج الاحج البيت
 الصيق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك وعلوهم كذب أهل الجهل
 والضلالة فيما قد يأترونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلهم يكذب من يزعم من
 الرفض أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصاً قاطعاً جلياً وزعم
 آخرون أنه نص على العباس وعلوهم أ كاذب الرفض والناصب التي يأترونها في
 مثل الفروقات التي يروونها عن علي وإس لها حقيقة كما يرويها المكذون الطريقة
 مثل أ كاذبهم الزائدة في سيرة عمر والبطلان حيث علموا مجموع مفارزي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإن القتال فيها كان في تسعة مفارز فقط ولم يكن عدة المسلمين
 ولا العدو في شيء من مفارزي القتال عشرين ألفاً ومثل الفضائل المروية لبزبد
 بن معاوية ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الأرجاء ونحوه
 والأحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الأسبوع وفي صلوات
 أيام الأشهر الثلاثة والأحاديث التي يروونها في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم
 هو وأصحابه وتواجده وسقوط البردة عن رداءه ونزيقه الثوب واخذ جبريل
 بعضه وصعد به إلى السماء وقتل أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاة ليلة
 الإسراء والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة
 وروية النبي صلى الله عليه وسلم له في الأرض بعين رأسه وأمثال هذه الأحاديث
 المكذوبة التي يطول وصفها فإن المكذوب من ذلك لا يحصى أحد إلا الله تعالى
 لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله
 عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وإنما يكون موجوداً في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو
 محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الأنبياء وكان من الدلائل على انتفاء
 هذه الأمور المكذوبة وغيرها وجوه

(أحدها) أن ما نرفت هم الخلق ودواعيهم على نقله وإشاعته بمنع في العادة

كتمانه فأنفراد المدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة وأخبر بمحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد إذا لم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها يمكن يطمع الناس ولم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار المقل وقياسه وضربه الأمثال يعلم كذب ما ينقل من الأمور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ماضت سنة الله في عباده أنهم لا يتواطون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فإن الله جبل جماهير الأمم على الصدق والبيان في مثل هذه الأمور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الأكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق إذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح وتختار الأخبار بهذه الأمور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون إلى الاستخبار والاستفهام بما يقع وكل شخص له من يؤثر أن يصدقه ويبين له دون أن يكذبه وبكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على أنسابهم إلا الصحة وعلى أنفسهم إلا البقاء فالغرض هنا أن الأمور المتواترة يعلم أنهم لم يتواطوا فيها على الكذب والأخبار الشاذة يعلم أنهم لم يتواطوا فيها على الكتمان

(الوجه الثاني) أن دين الأمة يوجب عليهم تبليغ الدين وإظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانه ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على كتمان ما يجب بيانه كتواطؤهم على الكذب وكلاهما من أقبح الأمور التي تحرم في دين الأمة وذلك باعث موجب الصدق والبيان .

(الثالث) أنه قد علم من عدل سلف الأمة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين وإظهاره وعظيم محاببتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما قلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه

المادة الحاجة الخاصة الدينية لهم غير المادة العامة المتركبة من جنس البشر
(الرابع) ان العلماء الخاصة يملكون من نصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم
الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لأمير الله ورثه ومن دين آحادهم مثل
الحلفاء ومثل ابن مسعود وأبي معاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس
وابن عمرو وغيرهم يملكون علما يقينا لا يتخالفه ريب امتناع هؤلاء من كتمان
قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يملكون امتناعهم من الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير
بمعرفة ذلك مثل الزهري وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة
وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وغيرهم أموراً يملكون معها امتناعهم من الكذب
وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الأمور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتمانها لو كانت
موجودة ولهم في ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وإنما
الغرض التنبيه على ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الأهواء

قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فإنه كان ينزل على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف في
صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع
الاختلاف في قلهارذ كروا نحو هذه الأمور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند
بعض الناس وجعلوا هذا مطارضا لما تقدم ليسوغوا ان يكون من أمور الدين ما لم ينقل
بل كتم لأهواء واغراض وأما جهة الرأي والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم
في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صاد شبهة لكثير من أهل
الأهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جنتين
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا الفرق والاختلاف
دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويصبرون عنهم عبارات تارة
يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الأهواء
لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل يقتل شيلا
من سبل الشيطان فالرافضة تقتل النقل عن أهل البيت لما لا يوجد له وأصل

(المنار - ١٠) إزالة الخلاف بأصل الجماعة - الحج والأذان ٢٧٣

من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الأول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وأنه ظلم ومنع حقه وقال أنه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل إلى هدم الإسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والاحاد فالصائبة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والهاكية وغيرهم إنما يدخلون إلى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الإسلام من باب التشيع والرفض والمعترضة ونحوهم تتحل القياس والعقل وتطمع في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويملكون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أرباب الملة من اسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المنصبيين ببعض هذه الأمور الصغار ساعيا في هدم قواعد الإسلام الكبار

﴿ فصل ﴾

إذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فتبين نذ كر طريق زوال ذلك ونذ كر ما هو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الاصلين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فإنه إذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحججه جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء

أما الأصل الأول وهو الجماعة وبدأنا به لأنه اعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنون من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات إنما هي في أمور مستعبات ومكروهات لا في واجبات ومحرمات فإن الرجل إذا حج متمثلا أو مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وإن تنازعوا في الأفضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب أو يمنع ذلك فمن الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ما عداها ومن الناصبة من يحرم المتعة ولا يبيحها بحال

وكذلك الأذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فإنه أذان صحيح عند جميع سلف الأمة وعامة خلفها وسواء رجع الكبير في أوله أو ثناء وإنما يخالف في ذلك بعض

٢٧٤ ازالة الخلاف بأصل الجماعة-البسلة والقنوت (المنار-١٠)

شواذ المتفقه كما خالف فيه بعض الشيعة فاجوب له الحيلة بحج على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والثنية بأيتها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاما تنازع شذوذ الناس

وكذلك الجهر بالبسلة والخفاة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فالمنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والخفاة في موضعهما هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل الخفاة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو الخفاة به فما لا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة الخفاة يسمهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاة بن رافع الزرقى قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال «من المتكلم؟» قال أنا قال «رأيت بضمة وثلاثين ملكا يتدرونها ايهم يكتبها اول» ومعلوم انه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم ان المستحب للمأموم الخفاة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانهك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وهذا فعليه بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبة فيه الخفاة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفي الصحيح عن ابن عباس انه جهر بقراءة الفاتحة على الجنابة وقال تعلموا انها السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع انه كان من الصحابة من يجهر بالبسلة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل احد منهم صلاة احد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى

وكذلك القنوت في الفجر انما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود

(الرد ١٠) ازالة الخلاف بأصل الجماعة - التسليم الثانية والافتتاح ٢٧٥

السهر لتركه أو فعله والافعامتهم منفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس
بواجب وكذلك من فعله أذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع
ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما اعلم
وكذلك القنوت في الزهرل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان
إنما هو في الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وكذلك
كونه قبل الركوع أو بعده

وكذلك التسليم الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في
الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن أحمد رواية
أن التسليم الثانية واجبة في الصلاة الكاملة إما وجوب الأركان أو وجوب ما يسقط
بالسهر على نزاع في ذلك والرواية الأخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة في الصلاة
الكاملة أما وجوب الأركان أو وجوب ما يسقط بالسهر على نزاع في ذلك
والرواية الأخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد إنما النزاع في المستحب منها والا فلا نزاع
في أنه يجزئ ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائزة ما أعلم في ذلك خلافا
لا خلافا شاذاً وإنما النزاع في المستحب

وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح إنما النزاع في استحبابه
وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولاً في مذهب
الامام أحمد

وإذا كان النزاع إنما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وأجزائه
وبكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فإن جميعها جائزة وإن كان من الناس من
يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فإنه إذا علم أن ذلك
جميعه جائزة مجزئة في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان
سواء وإن رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يظلم من
يختار المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجهود المخطئ لا يجوز ذمه
باجماع المسلمين ولا يجوز الفرق بذلك بين الأمة ولا أن يعطى المستحب فوق

٢٧٦ ازالة الخلاف بأصل السنة - الأذان والاقامة (المنارة - ١٠)

حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومنسحبة
أفضل بكثير ولا يجوز ان تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يتمتع الرجل
من تركها ويرى انه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك
المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم ان
اثنان من قلوب الامة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء
لا تلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب
دور مصلحة ذلك المستحب وقد اخرجنا في الصحيحين عن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها « لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لتقضت الكعبة
ولأهنتها بالارض ولجملت لها بايديك الناس منه وبأبا يخرجونهم » وقد بين
اخرج بهذا الحديث البخاري وغيره على ان الامام قد ترك بعض الامور الختارة
لأجل تأليف القلوب ودفعاً لفتورها ولهذا نص الامام أحمد على انه يجهر بالبسملة
عند المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لأن أهلها اذا
كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف ويعلمهم انه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا
لا يقرؤونها بحال فيجهر بها ليعلمهم انه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس
بقراءة الفاتحة في صلاة الجائزة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك
والطمع فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم انه دخل في المشروع
فالتنازع في الرجحان لا يضر كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات
وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد امر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء ان
يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله
ورسوله فاما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من
السنة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض
الناس أما الاذان فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سن في الاقامة الايثار والشفع في الصحيحين انه أمر بلالا أن يشتم الأذان
ويوتر الاقامة وفي صحيح مسلم انه علم أبا محذورة الاقامة متى شئ مثل

(المنار - ١٠) إزالة الخلاف بأصل السنة - الترجيم والقنوت ٢٧٧

الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لصبر بحرف ولشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله ان يقرأ به وكذلك الترجيم في الاذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو محذوف من أذان بلال الذي رواه في السنن وكذلك الجهر بالبسلة والخافقة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت الخافقة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران جميعا واما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحيح والسنن يقتضي انه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لا شبهة فيها وفي السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن مقفل وغيره وليس في الصحيح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحيح والسنن أحاديث محتملة وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها اذا كان بمكة وأنه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه أبو داود في المناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهرون بها وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألو أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهرها خفيا اذا كان ذلك محفوظا واذا كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة

واما القنوت فأمره بين لا شبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصبة ثم تركه ولم يكن تركه نسخا له لانه ثبت عنه في الصحيح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلحة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر وثبت عنه انه قنت أيضا في المغرب والعشاء وسأرا الصلوات قنوت استنصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين انه ترك ترك

٢٧٨ إزالة الخلاف بأصل السنة - الحج (المنار ٤-١٠)

نسخ فاعتمدان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكين أنه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت لسبب تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لا الرواتب لأنه ثبت أنه تركه لما زال العارض ثم عاد إليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح أنه لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه أنه قنت القنوت المتنازع فيه لا قبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنونا يجبر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى ان ينقل دعاءه فيه فاذا كان الذي نسحبه إنما يدعو فيه لقنوت الوتر علم أنه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وإما أنه من الممتنع ان يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فإنه مما يعلم بطلانه نظما وبذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعاء عمر فيه وهو قوله اللهم عذب نفرة أهل الكتاب الخ يقضي أنه دعاء به عند قتله للنصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن أنس أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في إسناده وأنه ليس في السنن إنما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الا شهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما قد بيناه في غير هذا الموضع

وأما حجة الوداع وإن اشبهت على كثير من الناس فانما أتوا من جهة الاقفاط المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول أنه تمتع بالعمرة الى الحج وهو لا أيضا يقولون أنه أفرد الحج ويقول بعضهم أنه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف في ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل من إحرامه وأنه

(الفتاوى - ١٠) منافع الأوربيين ومضارهم - الاستبداد ٢٧٩

كان قد ساق الهدي ونحره يوم النحر وأنه لم يستمر بعد الحجة في ذلك العام لاهو ولا احد من اصحابه الا عائشة أمر أخاها ان يعمرها من التعميم أدنى الحل وكذلك الاحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفاء والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول فالذين نقلوا انه أفرد الحج صدقوا لأنه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم ينتمى نمتما حل به من احرامه كما يفعل المتعمق الذي لم يسبق الهدي بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي ان يحملوا من احرامهم ويحملوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم

باب الثلاث

منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق - الاستبداد (٣)

الفائدة الثانية الخروج من الاستبداد

أتى على الشرق حين من الدهر كان يعبد فيه الملوك عبادة حقيقية ويسمىهم آلهة ويدعوهم أرباباً وهو لم يسلم من هذا الاعتقاد سلامة تامة عامة الى اليوم ثم ارتقى بعض شعوبه الى الاعتقاد بأن الملوك ليسوا آلهة خالقين ولكنهم أصحاب سلطة إلهية وسيادة ربانية يجب طاعتهم عدلوا أو ظلموا، وتقديسهم اماؤا أو أحتسوا، ثم جاء الاسلام باصلاح جديد، فجعل أمر المؤمنين شورى بينهم وأمر أصحاب الرأي السديد والمعرفة بالمصالح العامة واجب الامثال في سياسة الامة وادارتها حتى لا يطمع فرد من الافراد بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالأمر. وجرى النبي صلى الله عليه وسلم في سياستهم على هذه القاعدة فكان يقدم رأي أصحاب الرأي المعتبر عنهم بأولي الأمر على رأيه كما فعل يوم أحد اذ كان صرح بأنه لا يرى الخروج الى حرب قريش حتى تصل الى المدينة ورأى أصحابه الخروج ففعل برأيهم وكما فصل يوم بدر والاحاديث في ذلك كثيرة

٢٨٠ منافع الأوربيين ومضارهم - الاستبداد (الجزء ١٠ -)

شهيرة. ولكن الشرق لم يكن تم استعداده لهذا الإصلاح الاعلى لما بيناه في مقال (طبيعة الاجتماع في الحاكمين والمحكومين) لذلك نسئ لني أمية أن يصبوا به ويريلوه في زمن قريب

ولي أبو بكر رضي الله عنه أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وقال: وليت عليكم ولست بخيركم فإذا استقمت فأعينوني وإذا زغت فقوهوني: وولي عمر رضي الله عنه فقال نحو ذلك في خطبه. ومن المشهور المستفيض على الألسنة أنه لما قال على المنبر: من رأى منكم في عوجا فليقومه: قام رجل فقال لورأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا فقال: الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه: ومما روي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال على المنبر: «أمرني لأمركم تبع» وقال في أول خطبة خطبها بعد أن ولي الخلافة الاوان لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ثلاثا - اتباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسنتهم - وسنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكف عنكم الا فيما استوجبتم»

فانظر كيف قيد اتباع من كان قبله بكونه فيما اجتمعوا عليه وسنوه فهو دليل وراء الادلة الصلبة على ان أبا بكر وعمر كانا يأخذان برأي الأمة، فيما لم يرد به الكتاب ولم تمض به السنة، وتأمل قوله «فما لم تسنوا عن ملأ» والملأ الجماعة من أهل الرأي والمكانة في الأمة وهم بمعنى النواب

أما سيرة علي كرم الله وجهه ورضي عنه فهي على تلك السنة ماغير ولا بدل ولا رغب في الدنيا ولا جنح الى زخرفها ولكن نزا عليه بنو أمية أعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام وكان من أمرهم ما كان ولا محل لشرحه في هذا التمهيد. وإنما غرضنا أن نقول إنهم استبدوا عملا وما عثموا أن جهروا بالخروج عن سنن الاسلام في حكمه قولا اذ قال خطيبهم عبد الملك بن مروان على المنبر «من قال لي اتق الله ضربت عنقه» فتحوط الحكومة الي استبدادية كانت على حسب سيرة الحاكم الاعلى الملقب بالخليفة أو الملك فتارة يكون عادلا كعمر ابن عبد العزيز وتارة يكون جائرا وتارة متوسطا وكان معظم ظلمهم وظلم من

(الناحية ١٠) منافع الأوربيين ومضارهم - الاستبداد ٢٨١

بدنهم لمن يأنسون منه سخطاً من سلطانهم أو مقاومة لها وسائر الناس في راحة وأمان ، يتندم به العلم وبزهو العمران ، حتى استدار الزمان ، ورجع الشرق الى نحو ما عليه كان ،

أخبار الممالك يقل في القارئ من لا يعرفها ، وسيرة اسماعيل باشا لم يمت جميع من ذاقوا مرارتها ، ومفاسد بايات تونس ماثورة ، ومنكرات دابات الجزائر غير منكورة ، كان من هؤلاء من يماقب الناس الذين يحمل عليهم غضبه ولو لحفظ عرضهم من فسقه بأحدى ثلاث - الخنزوق أو ترديته من أعلى جبل قسنطينة أو إغراء كلاب عاقرة به تنهت وتمزق لحمه حتى يموت شرمية . كان هذا قبيل إغارة فرنسا على الجزائر . ولا يجمل أحد من قراء الصحف حال بقية الممالك التي لا تؤثر فيها حالة الأوربيين ولم تحملها على تغيير سلطتها الاستبدادية إما لمهلها بها لعدم الاختلاط بهم واتنباس علومهم والوقوف على حال حكوماتهم كراكش وأما لأن السلطة الاستبدادية فيها لا تزال أقوى وأقدر على منع العلم عن الجاهلين ، مع مطاردة طلاب الإصلاح من المارفين ، كما هو شأن الحكومة الصليانية ان محاربة الاسنانة للعلم والدين ، ومطاردة العقلاء والمارفين ، لفوق ما يتخيل المتخيلون ، لأنها اصناف ما يروي الرايون ، ان أكثر المطبوعات العربية الجديدة التي تعد في مصر من آيات الارتقاء التي استمدت أو تستمد بها الامة لأن محكم نفسها بنفسها هي في الولايات الصليانية من اشد الجنايات وأعظم الجرائم تضطرب لذكرها القلوب وترتعد الفرائص حتى من أولئك الذين ينفكون الدماء بالأسواق في وقت الضحى لأن سافك الدم كثيراً ما يسلم بالرشوة أو الهابة ، واذا حوكم لا تبرأ منه المحاماة ، واذا حكم عليه يدركه العفو في أحد الأعياد بعد عشر سنين أو اقل ، أما من يتهم باقتناء كتاب مما يعد منبهاً للأفكار أو بطله من مصر فلا يتجرأ أحد على الدفاع عنه ، ولا على الارتشاء منه ، ولا يؤخذ منه دليل ولا تنفعه شفاعاة ،

كم من عالم عامل ، ومن غيور فاضل ، يش في ظلمات السجن لا يتجرأ أحد على ذكره ولا السؤال عنه ، وكم من عالم وغيور أخرج من داره ، ونفي الى حيث لا يسمع أهله وولده بذكره ، وما كنت عازماً على الإشارة الى مثل هذا لولا أن

٢٨٢ منافع الأوربيين ومضارهم - الاستبداد (الجزء ١٠)

أتقني اليّ قبل هذه الكتابة رقيم من الحجاز فيه ان أمير مكة حلد بعض أهل العلم مثله جلالة على مشهد من الناس ثم كبه في السلاسل والاغلال لأنه كتب كتابا في التوحيد قل فيه ان الأمر كله لله لا ينبغي ان يطلب الخير ودفع الضر من غيره عز وجل بعد المعجز عن الأسباب التي سنها واستعمال القوى التي وهبها فصار إظهار التوحيد الخالص ممنوعا بهذه الحكومة في حرم الله ، وقد كان أعظم مظهر له في أرض الله ،

هذا واليابان تفاخر أوربا بالحربة والمدل وحكم الشورى وإيران تحاول مجاراتها في ذلك ومهر لا حديث لها الا المجلس النيابي فمن أبنائها من يلح بطلبه الآن ومنهم من يقول يجب أن نمذله أولا عندنا ونكتفي الآن بتوسيع اختصاص مجلس الشورى ومجالس المديرية . وقد سبقهم العثمانيون الى المطالبة باعادة القانون الاساسي ومجلس الموقدان (أي النواب) ورى أهم حديث للجرائد التونسية في هذه الأيام حديث مجلس الشورى عندهم والمطالبة بانصاف التونسيين من الأوربيين لكن الفرق بين المصري وأخيه العثماني أن الأول يجهر بطلبه في لده ويناقش حكومته جهرا في المجالس الرسمية وفي الجريد وفي المحفل العامة والخاصة وقد يطمئن عليها وعلى القوة المشرفة عليها وهي تدج له ذلك والتمثاني لا يتجرأ على الحديث بذلك في بلاده وان كان في كسريته قد أغتت ، دونه الأبواب ، وأرخت عليها السجوف والامتار ، لأنه أعلم الناس بالمثل القائل « المحيطان آذان » وهو لا يأمن على نفسه الاهل والحيران ، لأن الاستبداد ، قد أفسد الناس أي افساد ، حتى صار الرجل الحر يفتر من أخيه ، وأمه وأبيه ، وفصيلته التي ذوبه ، وانما يجهر بذلك في أوربا ومصر ، وكل بلاد ليس فيها لأبناء جنسه سلطان ولا حكم ،

فأعظم فائدة استفادها أهل الشرق من الأوربيين معرفة ما يجب ان تكون عليه الحكومة ومطباغ نفوسهم بها حتى اندفعوا الى استبدال الحكم المتعبد بالشورى والشرعية بالحكم المطلق الموكول الى ادارة الافراد فمنهم من مال أمه على وجه الكمال كالإيران ، ومنهم من بدأ بذلك كإيران ، ومنهم من يجاهد في سبيل ذلك بانفلم واللسان ، كصر وريا

(الطبعة - ١٠) مناقم الأوربيين وفخارهم - الاستبداد ٢٨٣

ليست هذه الفائدة بالشئ، التانه ولا بالامر اليسير ولا هي بالمنفعة التي تقرب بالظائر بل هذه مرتبة البشرية العليا، في هذه الحياة الدنيا، فان القوم الذين يرضون ان يستبد بهم حاكم يفل فيهم ما يشاء ويحكم بما يريد ينبغي ان يدوم الدواب الراعية، والانعام السائمة، اذن هذه الفائدة هي عبدة عن الارتقاء من حضيف البهيمة، الى اتق الانسانيه، فحسب الشرق أن استفاد هذه الفائدة وعرف قيمتها

لا تقل أيها المسلم ان هذا الحكم أصل من أصول ديننا فذهن قد استفادناه من الكتاب المبين، ومن سيرة الخلفاء الراشدين، لامن مما شرة الأوربيين، والوقوف على حال الغربيين، فانه لولا الاعتار بحال هؤلاء الناس لا فكرت أنت وأمثلةك بأن هذا من الاسلام ولكن أسبق الناس الى الدعوة الى إقمة هذا الركن علماء الدين في الاستبدادية ويعد من أكبر أعوانها، ولما كذا أكثر طلاب حكم لشورى المقيدم الذين عرفوا أوربا والأوربيين، وقد سبقهم الوثنيون الى ذلك. ألم تر الى بلاد مرا كش الجهلة بحال الأوربيين كيف تخط في ظلمات استبدادها ولا تسمع من أحد كلمة «شورى» مع أن أهلها من أكثر الناس تلاوة لسورة الشورى ولغيرها من السور التي شرع فيها الأمر بالمشاورة وفرض حكم السياسة الى جماعة أولي الأمر والرأي

فإن قلت ان أول من نبه المصريين الى حقوق الأمة على الحاكم وإلى فضل حكومة الجمهورية والملكية المقيدة على الحكومة الاستبدادية شيخان من شيوخ الدين وامامان من أئمة الاسلام وهما السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده واليك أنت قد نشرت في «المنار» مقالات للسيد مقالات في «الحكومة الاستبدادية» كانت مما نشره هو في بعض الجرائد على عهد اسماعيل باشا وهي تحرك الجهاد وصرحت في ترجمة الشيخ بأنه كان يدعو الى ذلك وأنه قال بل كتب عن نفسه هذه الكلمة الجليلة «دعونا الى هذا الاستبداد في عقوانه، والظلم فاض على صولجانه، ويدالظالم من حديد، والناس كاهم عبيده أي عبيد» وقد كان مضى على المصريين أكثر من

٢٨٤ منافع الأوربيين ومضارهم - الاستبداد (المنار-١٠)

نصف قرن وهم يتدارسون علوم أوربا ويشتركون مع الأوربيين في كثير من الأعمال ويتزاحمون معهم بالمناكب ويتبادلون بالأموال، ولم يخطر في بالهم أن يقلدوهم بإصلاح الحكومة والسيطرة عليها

ان قلت هذا محتج على اننا نحن المسلمين، قد اقتبسنا قاذرة مقاومة الاستبداد من الدين، فان لي أن أجيبك عن ذلك بأنني لا أنكر أن ديننا بهذا ذلك كما رأيت في مقدمة هذا المقال . كيف وانني لم أطلع على كتابة لأحد في ذلك أوسع مما كتبه في « المنار » وانني مطلع على سيرة هذين الامامين الحكيمين وعالم بأنه كما قد عاهاذا توفيق باشا قبل ان يصير الأمر اليه على نصره وعاهدما هو على انشاء مجلس نيابي وعلى تعميم التعليم في القطر المصري ، ومع هذا كله أقول اننا لولا اختلاطنا بالأوربيين لما تنبها من حيث نحن أمة أو أم الى هذا الأمر العظيم ، وان كان صريحاً جلياً في القرآن الحكيم ، نعم ان استاذينا الحكيمين رحمهما الله تعالى أهل لأن ينهما ذلك من القرآن لانهما أول من دعا في هذا العصر الى جملة أساسا للإصلاح وينا من حكمه وفضله، ما عجزت الأرائل عن الاتيان بمثله ، ولكن كلامنا في تنبه الشعوب الشرقية على اختلاف مللها ونحلها ، لا تنبه فيلسوفين من أهل ملة منها ، على أن هذين الحكيمين قد استفادا من الاعتبار بحال أوربا وعرفا حال أهلها قبل دعوتهما الى هذا الإصلاح

لا ينبه الأمة الى مثل هذا التغيير العظيم الا الاحساس بالخطر والخوف من سوء العاقبة وروية العبر بأعينها ، وسماع أخبار الذين هرعوا الاستبداد من قبلها ، ولذلك نقول اننا ما عرفنا قيمة هذه لفائدة لا بعد أن أحسننا بانفع الله النبي نقابها وهي موثبة استقلالنا والاعتماد عليه وهي ما عني به في تسم المضار ان شاء الله تعالى



فَتَاوَى الْمَلَكُ الْمَلَكُ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته (وله بمسئد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا ورمنا قد منامنا خرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا، ولن ينفى على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا خلفه

مختار أسئلة من بعض أهل العلم بتونس

التوحيد وتوفي ملك الموت للناس

(س ١٤) أعظم أساس أتيم عليه هيكل الاسلام توحيد الله تبارك وتعالى واعتقاد انه وحده المصروف في الكون وكيف نجتمع هذه العقيدة الاعتقاد بملك الموت الذي جاء به قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) فما الحكمة في تفويض أمر توفي الانفس لهذا الملك

(ج) ان تفويض التوفي الى بعض الملائكة كتفويض تبليغ الوحي للأنبياء الى بعضهم كتفويض تبليغ الرسالة للناس الى المرسلين كتفويض غير ذلك من الأعمال الى المخوفين كل ذلك لا ينافي التوحيد وكون الله سبحانه وتعالى هو المصروف في الكون لأنه عز وجل هو الذي أقدرهم وهو الذي سخرهم ولو سلمهم ما أعطاهم لما قدروا على شيء ولكن أضحت حكمته ان يربط أمور الكون بعضها ببعض فيجعل هذا سببا لذلك وهو واضح الاسباب والمسببات وهدير المال والمملولات وقد بين لنا في كتابه كلنا الحقيقة من حقيقة ربط الاسباب بالمسببات وحقيقة انفراد الخلق والتدبير . ومنه ذلك الربط والتدبير . فكما قال (١١ : ٣٢) قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم (وقال (٤٢ : ٣٩) الله يتوفى الانفس حين موتها وقال (٦٢ : ٣٩) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) ولكل مقام مقال ولا تنافي بين الحقيقة بين عند المنلاء حتى من أهل الوثنية الراقية كمشركي العرب وقت البهثة وإنما كانت شرك هؤلاء خاصا بالعبادة وهو التوجه بالقلب الى غير الله في قضاء الحاجات عند العجز عن

الوصول إليها من طريق الأسباب أوفى الترتيب إلى الله وما يتبع ذلك من دعاء المنوجه إليه وجعله وسيلة إلى الله كما بين لنا ذلك الكتاب العزيز في آيات تنطق بأنهم كانوا يعتقدون أن الله خلق كل شيء، وإن ما يدعون من دونه إنما يدعى ليشفع لهم عنده ويفرهم إليه زاني وهذا هو الشرك في الألوهية وقد شرحناه مسارا كثيرة في بابي التفسير والفتاوى وغيرها من أبواب المنار ورى منه شيئا في التفسير من هذا الجزء . وهذا النوع من الشرك هو الذي ابني به أكثر الخلق بما يقيسون في هذا الأصل الذي يجب أن يكون مبنيا على البرهان القطعي لا على القياس الظني أو الوهمي وناهيك بقياس الرب الرحيم العظيم الحكيم على الملوك انقاسة الجهلاء السفهاء إذ يقولون : إن الملك يقضي حاجات الناس بواسطة المقربين إليه من حاشيته أو وزرائه أو بكل اليهم ذلك ولا يسمح لكل أحد أن يطلب حاجته منه مباشرة فكذلك يفعل الله سبحانه وتعالى عما يصفون فقد أبطل هذا القياس على السنة جميع رسله وهدى الناس إلى أن يلتصقوا منه حاجاتهم بالسيرة على سبيل في الأسباب والمسببات حتى إذا أعوزهم السبب وضاعت بهم السبل ونفدت منهم الحيل وجب عليهم أن يلجؤا إليه ويعزلوا في أمرهم عليه ويخصوه بالدعاء ويقصروا عليه الرجاء عسى أن يهديهم إلى ما حملوا من الأسباب أو يخفف عليهم ثقل ما حملوا من الأوصاف ولم يأذن لهم أن يدعوا من دونه أحدا ولا أن يطلبوا منه عوناً أو مدداً أما نقرأ ما أمر به خاتم أنبيائه وصفوة اصفيائه (٢٠ : ٢٢) قل إنما أدعوني ولا أشرك به أحداً ٢١ قل إني لأملك لكم خيراً ولا رشداً ٢٢ قل إني لن مجبرني من الله أحد وإن أجد من دونه متلحداً ٢٣ إلا بلاغا من الله ورسالاته) فإذا كان خاتم النبيين والمرسلين لا يملك للناس خيراً يدفعه أو نفعا يرفعه أو رشداً يهدي به القلوب بل يملك التبليغ للرسالة فقط وهو فيما عدا ذلك بشر ملككم فماذا نقول بغيره ممن يطلب منهم ذلك ؟

أما الحكمة في جعل قبض الأرواح موكولا إلى ملك الموت فهي داخلية في الحكمة العامة في ربط الأسباب بالمسببات وجعل الأرواح الطيبة عاملة في الأجسام الكثيفة وعلى طالب الحكمة أن يعرف ذلك متى عرفه أو عرف منهم

(الشارع - ١٠) قيام الدين بالدعوة . وحديث أمّرت أن أقاتل الناس ٢٨٧

يقول لم كان كذلك لانه يشاهد أنه متعنى السكّال في الابداع كما أن متعنى الجهل في الناس أن يظنوا أن خلق كل شيء أنفاً هو أدل على كمال قدرة الخالق كما تخيلت القدرية كأن هؤلاء الجاهلين يرون أن الحكمة والنظام بنافيان كمال القدرة تعالى الله عن جهلهم

﴿ قيام الدين بالدعوة . وحديث أمّرت أن أقاتل الناس ﴾

(س ١٥) الاسلام كما لا يخفى عليكم قام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف والقوة كما يعتقد الكثير من أصدقاء الدين الجاهلاء وكيف يجمع هذا قوله صلى الله عليه وسلم « أمّرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فإنه صريح في ان القتال كان للحمل على الدخول تحت لواء الاسلام

(ج) أما كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف فهذا قطعي لا ريب فيه واما الحديث فقد ورد في مشركي العرب الذين لم تقبل منهم الجزية بعد الاذن بقتلهم وما أدن للمسلمين بقتالهم الا بعد أن آذوا النبي ومن معه وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وقدمدراهم كل سرحد ووقفوا في سبيل الدعوة فلم يكن الاذن الا للدفاع عن الحق وحماية الدعوة كما بيناه مرارا وليس الفرض من الحديث بيان أصل مشروعية القتال فان هذا مبين في الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٢٢ : ٣٩) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (الآيات وقوله (١٩٠ : ٢) وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات وأما الفرض منه بيان أن قول لا إله الا الله كاف في حتم الدم وإن لم يكن القاتل لها من المشركين مقتدا لأن الأمر في ذلك ينشأ على الظاهر . وهذا بالنسبة الى وقت القتال ولكنه بعد ذلك يؤمر بالصلاة والزكاة فان امتنع عن قبولها لا يعتد بإسلامه كما يؤخذ من رواية « حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ويقبضوا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وهو في الصحيحين على غرابته لان شعبة تفرد بروايته عن واقد وقد عد من الاشكال فيه ان يكون راويه ابن عمر مع ما علم من محاجة عمر لابني بكر في قتال ما نمي الزكاة ولم يحتج به عمر ولا ابنه قاله له وأجاب ابن حجر عن هذا

باحتمال نسيان عبد الله له في ذلك الوقت . ومما يؤيد قولنا ان الحديث خاص بالمشركين وان كان لفظه عاما رواية النسائي له بانظ لا أمرت ان أقاتل المشركين « وقد علمت ان المراد بياذعية القتال لامشروعيته وان سبب مشروعيته الدفاع وتأمين الدعوة ومنع الفتنة لا الاكراه على الدين المنفي بنص القرآن الحكيم ﴿ الاضطهاد في الدين وقتل المرتد ﴾

(س ١٦) اذا كان الاسلام لا يظهر أحدا لمتيدته فكيف يشترع قتل المرتد الثابت بقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه »
(ج) كان المرتد من مشركي العرب يعود الى محاربة المسلمين وإبذائهم فشرعية قتله أظهر من مشروعية قتال جميع المشركين المحادين للإسلام . وكان بعض اليهود ينفر الناس من الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقل قوله بالطمع فيه . قال تعالى (٧١ : ٣) ونالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، فاذا هدد أمثال هؤلاء بقتل من يؤمن ثم يرتد فأنهم يرجعون عن كيدهم هذا فالظاهر ان الأمر بقتل المرتد كان لمنع شر المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لا سبب قضت به سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصر سياسة هوفية عسكرية لا لاضطهاد الناس في دينهم . ألم ران بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فنهم النبي (ص) يوحى من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزلت آية (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين)

﴿ حكاية القرآن المسخ في بني اسرائيل ﴾

(س ١٧) جاء في القرآن الحديث عن مسخ بعض الامم من بني اسرائيل قبل هو محمول على حقيقته من انقلاب الاعيان كما هو مذهب الجمهور (وهو مخالف لسنة الله في الكون) أو هو محمول على التشنيع بحالهم كما هو مذهب مجاهد ؟ واذا كان كذلك فهاذا فهم من قوله صلى الله عليه وسلم « مسخت امرأة من بني اسرائيل »

هذه الآية وما مثلها تعد من أصول الدين وقواعده العامة التي تقتضي على غيرها ولا يقضي عليها شيء ولا يمكن رد الحديث اليها فيما وصل اليه علمنا لا يحمله على ذلك السبب الخاص فكأن الضرورة قضت بذلك في تلك الحال

(ج) لفظ المسخ لم يرد في القرآن الا في آية واحدة هي قوله تعالى (٢٦: ٦٧) ولو نشاء لمسخناهم على مكاتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) وهي بيان لقدرة الله تعالى على الانتقام منهم لو شاء ولكنه رحمة لم يفعل كل ما يقدر عليه من التشكيل بالكافرين والظالمين والمروى عن السلف تفسير المسخ هنا بالإقدام أو الأهلاك روى ابن جرير عن الحسن « ولو نشاء لمسخناهم على مكاتهم قال لو نشاء لا قعدناكم » ورواه عن قتادة بلفظ « لا قعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا ان يتقدموا ولا أن يتأخروا » وروى عن ابن عباس انه قال في تفسيرها « ولو نشاء أهلكنهم في مساكنهم » ولم يرو عن أحد أنه قال ان المسخ تحويل الحلقة من شكل الى شكل . ويقول الراغب في المفردات ان المسخ تشويه الخلق والخلق وتحويلهما من صورة الى صورة : وهو مأخوذ من مسخت الناقة أي أنضيتها حتى تنبر خلقها ولا يفهم منه أنك جعلتها بقرة . والحديث الذي ذكرته لا أتذكر ان يوجد ولكنني أعلم انه ليس في الصحيحين والخطب في مثله سهل بعد الذي علمت وبعد العلم بأن هذه الروايات في الأمور التي يطلب فيها العلم الصحيح ليست مما يحتاج به

الدابة التي تكلم في آخر الزمان ﴿

(ص ١٨) مامنى قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) فهل الآية محمولة على ظاهرها أو هي كناية عن ظهور العجائب (ج) هذه الآية مما أخبر الله به عن المستقبل البعيد فهي من أنباء الغيب التي تؤخذ بالتسليم ما لم يكن ظاهرها محالا فتعمل على خلاف الظاهر بالتأويل كما هي القاعدة وكلام الدواب ليس محالا في نظر العقول ولذلك يعلم علماء الأفرنج الآن في معرفة لغة بعض الحيوانات كالقردة واليافاء تكلم بالقدر المعروف

٢٩٠ طائفة محمد بن عيسى أكلة الثعابين والنار (المنار - ١٠)

ومحتمل أن ترد في هذا الكلام كما يحتمل أن توجد حيوانات أخرى تكلم الناس ولا تقبل أقاصيص المفسرين في ذلك

﴿ طائفة محمد بن عيسى أكلة الثعابين والنار ﴾

(س ١٩) من الناس طائفة تنسب إلى الشيخ محمد بن عيسى وتأتي من المنكرات ما يتقطب له وجه السنة ولكن تظهر من الخوارق ما يقف الناظر متحيراً دون الوصول إلى حقيقته وإدراك كنهه كأكل ذوات السموم وابتلاع المدي وإدخال السيف في البطن وأمين وإصاق النار بالبشرة وأكلها وليس شيء من ذلك بخاراً لهم في الحقيقة فيما يأنونه

(ج) لو قرأتم ما كتبناه في الكرامات وخوارق العادات في المجلد السادس وغيره لا كتفيم به عن السؤال بهذا . إن الذين يتخذون عمل الغرائب صناعة كثيرون في كل أمة وأنواع هذه الغرائب كثيرة وكل عاقل يحزم بأن ما يراه منهم يمكن أن يكون من غيرهم إذا هو تمرن عليه وهو على نوعين شعوزة يخيل صاحبها إلى الرائي غيغ الحقيقة وأمور طبيعية جاءت على غير ما يعرف الرائي فظن أنها غير طبيعية ومضى ظهر للإنسان شيء من أعمالهم على حقيقته وعرف سببه بطل تعجبه والماتل بقيس ما لم يعلم من ذلك على ما علم فاما أكل ذوات السموم وهي الثعابين فهو لا يضر إلا كل بطبعه له وقد استخرج بعض الأطباء سم الثعابين وأكله وإنما يضر إذا أصاب الدم ابتداء ولكن قد يضره الوهم إذا هو أكله معتقداً أنه ضار . وأما ابتلاع المدي فما أراه إلا من الشعوزة فهو يخيل إليك أنه ابتلع المدي من حيث يكون قد ألغىها بخفة لم تشعر بها وأما إدخال السيف في البطن والحربة في جفن العين فقد شاهدت عمل الرقاعية له ورويت أنه إيهام وتخيل . وأما مس البشرة بالنار فهو مما قد يكون بالتمرد ومما قد يكون بالتخيل وكلاهما مما شاهدته وقد أخرجت واحداً منهم واردته على أن يمكنني من وضع النار حيث أريد من بدنه فلم يقبل ثم استتبته فأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك . ولك أن تراجع ما كتبناه من قبل في ذلك

أثر عمل البرية

﴿ فرائد اللغة العربية ﴾

في لغتنا القنية فرائد كفرائد اللاك ، قد أهملت على جدارتها بالاستعمال ، ومنها المفردات التي يؤدي الواحد منها معنى جملة . وكانت شرعت في جمعها قبل الهجرة الى مصر فكتبت منها أوراقا من حرفي الهمة والباء ثم حال السفر دون المضي في العمل . وقد عن لي الآن أن أذكر بعض هذه الفرائد أذكر بها الكتاب لعلهم يستعملون منها ما يروق لهم . ولم أراع في الكلمات الآتية ترتيبا ولا نظاما الا ترتيب ما يخطر ببالى أولا فأولا . وهاك ما خطر الآن

(التجذيد) ان تستمع القوم فلا يتبعك أحد وهو مصدر جذذ الرجل
(الدال) ككتاب : أن يقول واحد فيها بقية وآخر ليس فيها بقية - وأن يعرض أمران فلا تدري الى أيهما تصير فانت تتروى في ذلك وهو مصدر عادل
(اللوية) بالضم كالخوة : القوم يكونون مع القوم ولا يستشارون في شيء
(المراريل) قوم عرازيل : مجتهدون في لصوبة
(الاوشاب) اخلاط الداس المتفرون ومثله (الاوزاع)
(الارقاس) بالهملة والمعجمة السقاط والعبيد وأشباههم
(الفوغا) السفلة واستعماله بمعنى الفوضاء والجلبة خطأ . وقيل الفوغا الكثير المختلطون

(الطراء) القوم يجيئونك من بعيد من غير أن تشمر بهم وهو من الطراء والطروه
(النفج) الاجنبي يدخل بين القوم ويصلح أمرهم أو الذي يعرض لا يصلح ولا يفسد

(المتفج) الذي يفخر بأكثر مما عنده
(التفاج) المتكبر يفخر بما ليس عنده

- (المرّض) بكسر الميم وتشديد الراء الذي يمرض الناس بالشر
 (الفيدار) الذي يسمى الظن فيصيب
 (المنّ) بالكسر من يدخل فيها لا يئنه ويعرض في كل شيء وهي منة
 (المنّ) بالكسر ذوالفتون والفرائب وهي منة
 (الفجفاج) الكثير الكلام المتشعب بما ليس عنده
 (الضمضاع) الرجل بلا حزم ورأي ومثله الضمضع
 (الوهين) الرجل يكون مع الاجبر يحشه على العمل (عزاه التهذيب الى
 أهل مصر)
 (التوليج) ولج ماله : اذا جعله في حياته لبعض ولده فسامع الناس فانقدعوا
 وغفوا عن سوءه . يقال ولّج ماله
 (الاغراب) أغرب الرجل بالغ في الضحك - ونزوح من غير أهله .
 وأجرى فرسه الى ان مات
 (النعى) نعى القوم : تزوج من خيارهم وشرقاتهم الذين هم ناصيتهم .
 ومثله نذرهم أي تزوج من فروتهم
 (الفراطة) كناية : الماء يكون شرعاً بين عدة أحياء من سبق اليه فهو له
 (التاوة) بالكسر : ترك المداكرة والمدارسة
 (الافناق) يقال أفنق فلان اذا سمعت دوابه
 (الافناق) • أفنق الرجل : تم بعد بوّس
 (الافتجار) • افتجر الكلام : اخترقه من غير ان يسمعه أو يعلمه من أحد
 (الافتحار) • افتحار الكلام والرأي أي به من قصد نفسه ولم ينأ به عليه أحد
 (التجرم) تجرم عليه ونجى عليه وتذبح له : نسب له الذنب مالم يفعل .
 و(الدقاقة) بالضم وتشديد القاف من تورد الذبح والتجرم

(المذرة ١٠٠) مقدمة الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام ٢٩٣

تاريخ الاستاذ الامام

قد تم طبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ فأما الثاني فهو في منشآته وآثاره العقلية التي لم تدون في الكتب كمقالاته القديمة والحديثة في الجرائد ولوائحه في الاصلاح والتربية والتعليم وكتبه ورسائله للعلماء والفضلاء . وناهيك بمقالات العروة الوثقى . وصفحاته ٥٦٠ وأما الثالث فهو في التأين والتمازي والمراني وصفحاته ٤٢٨ ولطهما أطرف كتب الأدب المصرية وأنفسها . وانا نقرظ كلا منهما بنشر مقدمته فلهما أحسن ميين لحقيتهما

﴿ مقدمة الجزء الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ • (سورة يس)

مات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) ولم يمض بل هو حي بآثاره ، التي هي مقبس أنواره ، مات المودة الطبيعية ، وحي الحياة العقلية الروحية ، فهو لا يزال كما كان ، قبل ان يغيب عن العيان ، تنقل أقواله ، وتذكر أعماله ، وتكتب معارفه ، وتشكر عوارفه ، ولا غرو فان للعلماء والحكماء في هذه الدنيا حياتين - حياة جسمية محدودة بتبدىء يوم الولادة وتنتهي يوم الوفاة ، وهي الحياة الحيوانية التي يشاركون فيها سائر الناس بل سائر الحيوان - وحياة عقلية روحانية غير محدودة وهي بتبدىء بظهور عمرات عقولهم النافذة لأمتهم أو لكل من يجنبها من الناس

١٩٤ مقدمة الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (المنار- ١٠)

وتدوم ما دام الزمان ، وبقي من الناظرين في آثارهم انسان ، وقد كان
الاستاذ الامام من خيرة هؤلاء العلماء ، وأفضل أصحاب هذه الحياة من
الحكماء ، تشهد له بذلك آثاره المرقومة في وجوه الصحائف ، وما آثره
المرسومة في ألواح القلوب ،

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

يسفر لك هذا السفر من تاريخ هذه الحياة عن الرجل وهو فيادون
الناشرة منها (وفي نحو الرابعة والعشرين من حياته الطيمية) تارة
محرم الواردات الآتية في حقائق علم الكلام الاعلى ، ويسير في المزج
بين عرفان الصوفية وبرهان الفلاسفة على الطريقة المثلى ، متمكناً من
مقام التوحيد ، متكباً عن مقعد التقليد ، على حين لا توحيد ولا كلام
هذه المشتغلين بالعلوم الدينية ، الاحكاية بعض ما قاله متأخرو الاشعرية ،
وتارة يقتبس أنوار الحكمة من أستاذة السيد جمال الدين ، ويغض منها
على عقول المستعدين ، بما يكتب من المقالات ، في فلسفة التربية والصناعات ،
وأونة يبحر الفصول الانشائية ، ويحلي المماتي المصرية ، في أبواب الاسجاع
الحريرية ، ويزفها كاخرا ئند ، على منصات الجرائد ، داعياً الى استقلال الفكر ،
وتناول علوم العصر ، حاثاً على ترقية الامة ، حاضاً على تجديد مجد الملة ،
آمراً بالاتحاد على ترقية الاوطان ، ناهياً عن التعصب الذميم بين المختلفين
في الاديان ، فهذا مثال طور الطلب والتحصيل من حياة الرجل العقلية ، ويتدى
في الكتاب برسالة الواردات وينتهي بالحنفة الادبية ،

ثم يمثله لك في طور آخر . وهو تارة بين أرباب الرياسة ، يرشدهم
الى طرق الادارة والسياسة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، لترقية الربة وعمران

(الدار-١) مقدمة الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام ٢٩٥

البلاد، وتارة يشرف على الأمة بالوعظ والتعليم، ويسلك بها صراط الحياة المستقيم، يبين غوائل السرف وفوائد الاقتصاد، وتقويم النفوس بمقائل الفضائل وأحسن الآداب، بعد تطهيرها من لوث الخرافات، ومساوي التقاليد والمعادنات، يهبط على الفلاح في حرثه فيخاطبه بما يفهم، ويرجع بطالب الحكمة الى أفقه فيعلمه ما لم يكن يعلم، وهذا هو المثال الاول لطور العمل، من الحياة المنشوية للرجل، تجليه لك مقالاته في جريدة الحكومة الرسمية، وجل عمله فيها خاص باصلاح حال البلاد المصرية، ثم تجليه لك مع أستاذة في الديار الأوربية، متعدين على ارشاد جميع الشعوب الاسلامية، السيد الحكيم يقترح ويدبر، والأستاذ الاثام يكتب ويحرر، يدعوان الى العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ويجمعان القلوب على الوحدة وكانا أحق بها وأهلها، هنالك تجلى لك روح القرآن، هابطة من سماء الحكمة والعرفان، مؤيدة بالعزة والسلطان، تطوف بتلك العروة البلاد، وتصافح قلوب أهل الاستعداد، فتحيا حياة جديدة، وتجذبها الى عيشة سييدة، هنالك ترى الالهام الآتي، يمد بتأثيره العلم الكسبي، فيصيان مواقع الاقناع من القتل، ويبلغان مواضع التأثير من النفس، فلا يقرأ القارىء ما في العروة من بيان حال المسلمين، وأسباب ما أصيبوا به من البلاء المين، وما تطب لدائهم، وتصف من دوائهم، الا وينثني أسير البرهان، مملوك الوجدان بالادعان، مندفعاً الى العمل بذلك البيان، بالجنان واللسان والأركان، وذلك طور مستوى القوة، وكال الفتوة، ومتهى علو الهمة، ويبع النفس والوقت للملة والأمة، ثم يظهره لك رابضاً في الديار السورية، يعمل لاصلاح الاسلام

٢٩٦ مقدمة الجزء الثاني من تاريخ الألوكة (الجزء ١٠٠٠)

بإصلاح الدولة العثمانية ، أو مقيما في الديار المصرية ، بين لأولي الأمر طريق الإصلاح بالتربية الدينية ، وهو في القطرين يتكلم عن فهم نائب ، ويرى عن فكر صائب ، بين طبائع البلاد والساكنين ، ويجمع بين مصالحة الحاكم والمحكومين ، ويهديهم إلى الطريق القويم ، في نظام التربية والتعليم ، معرّضا باستعداده لتنفيذ العلم بالعمل ، مصرحا بضمان تحقيق الأمل ، وفي ذلك ما فيه من اعتماده على الله ، وثقته بالقوى والمواهب التي آتاه ، يلوح لك ذلك في لوائح الإصلاح ، وما فيها من اشراع مناهج الفلاح ثم يبرز لك في طور المبارزين ، للطاعنين على الدين المبين ، فيتراءى لك أن قلعه أمضى من الحسام ، وكله أغد من السهام ، فهو بهما يكرّ ويصول ، ويجندل من المجادلين الفحول ، ولا ينثني إلا والحق غالب على أمره ، وبالباطل مغلوب يأرزا إلى جحره ، وحسبك من ذلك ردّه على موسيو هاتوتوف في قوله في طبيعة الديانتين الإسلامية والمسيحية ، ثم رده عليه في مسألة الجامعة الإسلامية ، ثم يريك بحبب الاقطار ، ويقطع أجواز البحار ، للنظر في آثار الأولين ، واستخراج العبر منها للآخرين ، فتراه في صقلية مرة يتصفح الصحف والاسفار ، ويستنطق العاديات والآثار ، ويقرأ ما نقش على الجدران بالعربية ، لتحقيق المسائل التاريخية ، ومرة يبحث عن الاخلاق والعادات ، وينقب عن المنشآت والمبتعثات ، يتردد بين الاديار والكنائس ، والمقابر والمدارس ، ثم يزف ما استفاد إلى أمته ، فيما كتب عن رحلته ثم يكشف لك عنه الحجاب ، وهو يرسل العلماء والكبراء والكتاب ، فتارة يتلو عليك من كتبه إلى حزب المصلحين ، وأهل البصيرة من علماء المسلمين ، ما تنشع له القلوب ، وتجدد من وقعه الشؤون ، فيكأنك منه

(الجزء - ١٠) مقدمة الجزء الثاني من تاريخ الاسناد الامام ٢٩٧

وقد عاد بك الاسلام ، الى عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، فرأيت
نفسك تتدفق غيرة على الدين ، وتفيض حزناً على ماحل المؤمنين ، فلم
يبق لهام الا ان تكون كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ،
أو كأنك معه في عصر الراشدين ، وكأنه معك أمير المؤمنين ، يصول على
الارواح بمواعظه الصادقة ، ويختلب الالباب ببلاغته الرائعة ،

ومرة يشنف مسامعك بالؤلؤ والمرجان ، من رسائل الوداد الى
الاصدقاء والخلان ، فيمثل لك الادب الباهر ، واللفظ الساحر ، ويصور
لك الوفاء في أجمل صوره ، والاخلاص في أجمل مظهره ، والصدق في الحب ،
على البعد والقرب ، ويريك من ذلك الرجل الحزين على أمته ، المستغرق في
عمل الاصلاح لملته ، أديبا ظريفا ، ونديما طيفيا ، حسن الاماليح ، مليح الافاكيه ،
حلو الفكاهة مرّ الجدة قدمزجت بشدة البأس منه رقة الغزل
وأونة يقرئك مما كتب الى المؤلفين بالعربية ، أو المترجمين للمكتب
الاجنبية ، ما يرفع من أقدارهم ، ويشب من نارهم ، وما يشد غرار همتك ،
ويزجي ركاب عزيمتك ، الى أن تكون من زميرهم ، وتساهمهم في
مثل خدمتهم ،

وأحيانا يسمعك من تعازيه للمحزونين ، ومواعظه للمرزوقين
بالاقربين ، ما يحلوه سرير الصبر ، ويرغب فيما عند الله من المثوبة والاجر ،
ويترك القلوب مفثوة الثائرة ، قد سكنت قدرها الفائرة ، وأنشأت
تشييع الاحزان ، وتستقبل السلوان ،

ثم يختم لك ذكرى هذه الحياة الروحية ، والآثار العقلية ، بشذرات
من الحكم المنثورة ، والآيات الماثورة ، فترى اجمالا ينبيء عن تفصيل ، وقليل

٢٩٨ مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام (المنار: ١٠٠)

لا يقال له قليل، كأنه مصورة مصغرة لتلك الروح الكبيرة، أو عناوين لتلك الكتب المسطورة، على أن الكتاب كله تنف من أقواله، ونموذج من أعماله، وإن آثاره في النفوس، لا عظم من آثاره في الطروس، فهو حي في الآخرة بما قدم من عمل، حي في الدنيا بما ترك من أثر، يمثل حياته هذا الكتاب الناطق، وينشر خبرها الصحيح مريده الصادق،

محمد رشيد وطنيا

منشئ المنار

﴿ مقدمة الجزء الثالث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

{ الانعام ٦ - ١٦٢ }

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (الجاثية ٤٥-٢١)

كانت حياة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في جميع اطوارها وأدوارها خلاصة لله تعالى من شوائب الرياء، وزعزعة الاهواء، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله، لا يرجو غيره ولا يخشى سواه، لذلك كان في محياه ومماته آية في العلم والعمل لله وللناس، وحجة على أهل الجهل والجور والجحود من جميع الاجناس،

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور في أمتنا، من

(النار - ١٠) مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الامتياز الامام ٢٩٩

المرشدين والعلماء، والملوك والامراء، والشرفاء والاعضاء، قد حياوا
مكرمين، وماتوا مبكين، وما كانت حياة أحد منهم كحياته، ولا مماته
كمماته، - مارأينا أحداً منهم في حداته فطرياً زكياً، وفي شبابه متعلماً
صوفياً، وفي كهولته فيلسوفاً اجتماعياً، وفي شيخوخته حكيماً رابانياً،
مارأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس في الدين والدنيا، من حيث
لا يطلب لنفسه الا الحياة الاخرى،

مارأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله، ويسترشد به
الغني ليفيد ويستفيد بماله، ويرجوه المتعلم ليقبس من حكمته وفهمه،
ويستهديه العالم الذي يريد ان يرفع علمه، ويرجوه المحكومون لما يريدون
عند الحاكمين، ويسفد منه الحكماء كيف يعدلون في المحكومين،
مارأينا أحداً منهم كان قبلة آمال المصلحين، في السياسة والعلم
والدين، قد أثلمت الاعناق وامتدت الابصار من جميع الامصار والاقطار،
ترقب آثار اصلاحه، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه، فالمصري في وطنه
يرجوه لمصر، والمسلم في كل وطن يرجوه للاسلام، والشرقي غير المسلم
يرجوه للشرق،

هكذا كان مرجوا في حياته للعالمين، اذ كان محياه خالصاً لله رب
العالمين، وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين، اذ كان حتى مماته محباً
خير الناس أجمعين،

ثم مارأينا منهم أحداً مات فبكاه السني الساني وغير السني، وحزن
عليه الشيعي والاباضي، ورثاه اليهودي والنصراني، وابنه الشرقي
والغربي، واستوى في التعزية عنه القريب بالأجنبي،

٣٠٠ مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام (المنار) - (١٠)

ما رأينا أحداً منهم مات فنمته الجرائد كنعيه ، وأبنته بمثل ما أبنته به ، على اختلافها في العقائد والمذاهب ، وتباينها في المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له في عالم الاجتماع من الزعامة ، وفي عالم الدين من مرتبة الإمامة ، وهما الزيتان اللتان يتحاسد عليهما الكبراء ، وينبهي لمباراة صاحبهما العظماء ، بل يسلطون الالسنه والاقلام على من يخطب واحدة منهما ، فإياك بمن يتمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الاستاذ الامام بنافلين ، ولا عن النيل منه بساكتين ،

ما رأينا أحداً منهم مات فعدّ موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلغاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للإخلاص والصفاء ، ورزؤه رزءاً للمصريين ، بل رزءاً للمسلمين ، بل رزءاً للإنسانية ومصابها على أهلها أجمعين ،

ما رأينا أحداً منهم مات فتجاوبت الاقطار بالتعزية عنه ، وتناوحت الامصار بالرتاء فيه ، وشهد له القريب والبعيد ، والغوي والرشيد ، والذكي والبليد ، بأنه امام الزمان ، وسدرة منتهى العرفان ، هكذا كان وقع موته في العالمين ، لانه مات كما عاش خالصاً مخلصاً لله رب العالمين ،

ليس هذا الذي أقول من خيالات الشعر ، ولا من باب الإطراء في المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من إعجاب الصديق والوديد ، ولا من اجلال التلميذ أو المرید ، وانما هو الحق اليقين ، الذي دوتّه أقلام الكتّاب ، املاء عن ألسنة الناطقين ، وهذا السفر بمض مادونوا ، ومادونوا الا بمض ما علموا ،

(الناشر: ١٠ - مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام ٣٠١)

ترى في هذا السفر اثباتاً لا اعتقاد قوم من المؤمنين والمؤمنين والرايين،
وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتبين، قد
تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الاقطار، واتفقوا على اختلاف اللغات
والمذاهب والديار، في اثبات المعاني التي أثبتنا، مع تفصيل لما أوجلنا،
وذلك هو التواتر الحقيقي، المفيد للعلم اليقيني،

تواتر لم يعمد له عندنا مثال، دونته الطبقة الاولى في الكتاب، عن تواتر
ساز مسير الامثال، به عرفه البعيدون من الشعراء والكاتب، لا بتوارد
الخواطر، كما يقع الحافر على الحافر، ولا بوحى من آحاد متواطئين، الى
جماعات غير متعارفين، اذ لا سبيل إلى التواطؤ، ولا ذلك الاعتقاد
والشعور مما يكون بالتوارد،

يدور الكلام في تلك التآيين والتعازي والمرائي على أربعة أقطاب
- (١) بيان الاعتقاد الذي تنبئه الآمال، و (٢) تمثيل الشعور و (٣)
ذكر الاعمال، و (٤) تخيلات الشعر، وإن هي تخيلات الذثر، وإنما يأتي
توارد الخواطر، في هذا القسم الآخر، كقولهم لو كان يفتدى لفتديناه بكذا،
وان الحياة بعده أبى وأذى، وانه كان بجرا في الجود والعلم، وطوداً في
الثبات والحلم، فأما ماهو من قبيل الاعمال، أو من اثبات الاخلاق
والخصال، فهو مما لا يكاد يتفق فيه خايران، فكيف تتفق فيه خواطر
الزرافات والوحدان،

ترى في هذا السفر أقوالاً للأفريقي والاسيوي، والامريكي (المقيم
في أمريكا) والاوربي، ولك أن تقول للعربي والتركي، والفارسي والملاوي،
والأفريقي والبربري، وان شئت قلت للمسلم السني والشيعة، وللنصراني

٣٠٢ مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام (المنار ٤-١٠)

واليهودي ، تنفق هذه الاقوال في مكان يجزم كل من رآها انها ناشئة عن اعتقاد ، سببه انتشار فضل الرجل في جميع الاقطار والبلاد ، حتى كان جديرا بقول الشاعر

وسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر
هذا ما يؤخذ مما نشر في هذا الكتاب ، واليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب منها ما قيل في حياته ، ومنها ما قيل بعد مماته ،
(ثم قلنا بعد ان أوردنا كلمات كبيرة فيه ، لبعض المشهورين كاختار
باشا ورياض باشا كانت نشرت في المنار)

هذا بعض ما سمعنا وما روينا ، على أن الامة لما تعرف كنهه من فقدنا ، كما يقول المقالة المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة ما يقولون ،
فأثبنا بهالم محير ، أو ملك أو أمير ، اعترفت له الامة بهذا الفضل الكبير ،
ينقسم هذا الجزء الى أقسام (الأول) أقوال الجرائد العربية وفيه
فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الاسبوعية و (٣)
للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية في أمريكا
الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية في سورية فقد منعت من تأييد
الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص ٩ الى ١٥٠)
(القسم الثاني) أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصول (١)
لجرائد التي تصدر في القطر المصري وقد ترجنا أكثرها و (٢) للجرائد
التي تصدر في أوروبا ولم يصل إلينا الا قليل منها (وهو من ص ١٥١ - ١٨٤)
(القسم الثالث) أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا
ما يصدر في مصر لانها هي الحرية بما لها من الحرية باظهار شعور فضلاء الترك

(الناشر: ١٠) مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاستاذ الامام ٣٠٣

واعتقادهم بفضل هذا الامام العظيم دون التي في بلادها (من ص ١٨٥-١٩٨)
وقد فاتنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها
في مصر وكنا نرغبنا الى عظيم من عطاء مسلمي الهند وأعلمهم بقيمة الامام
وأشدهم له حبا بأن يترجم لنا أم ما كتبه جرائدهم فالت الموانع - من
مرض وسفر - دون أحافنا بما كان يجب من ذلك

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأييد بعض العلماء والفضلاء كان
نشر بعضه في الجرائد (من ص ١٩٩ - ٢٣٥) بعد الوعد به
﴿ القسم الخامس ﴾ ما قيل في حقة التأييد والرأاء عند القبر
(٢٣٦ - ٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التنازي وهي نموذج مما كتبت بعض
المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب المسلمون من سائر
الاقطار (من ص ٢٧٥ - ٣٠٠)

﴿ القسم السابع ﴾ مرآة الشراء مرتبة على حروف المعجم وقد
اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ - ٤٢٢)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان في الاول منهما استدراك شيء تابع لقسم
التنازي وهو تعزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه
جهوده بك في جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والمستر براون
وفي الثاني استدراك آخر تابع لتأييد العلماء والفضلاء وهو تأييد اللورد كرومر
في تقريره الرسمي عن حال مصر الادارية والمالية وتأيد المستشار القضائي
في تقريره الرسمي عن القضاء في مصر (ص ٤٢٣ - ٤٢٨)

وتينا تأييد الجرائد في كل فصل على ترتيب أسماؤها بحروف المعجم

٣٠٤ مقدمة الجزء الثالث من تاريخ الاسناد الامام (المنار-١٠)

وكذلك رتبنا تأييد المؤيدين على حسب أسمائهم الا ماشد . وأما المراتي
فرتبناها على حسب حروف ، قوافيها وقصائد كل قافية على حروف
ناظيها ، وماشد عن الترتيب فالسبب فيه تأخر ورودها حقه التقديم ،
أو الخطأ من المرتين ، وقد وردت الينا تأييد ومراش أخرى بعد الفراغ
من الفصول الذي قضى الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بعضها غفلا
من التوقيع المدرف لصاحبها فأغفلناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء
والزهديات في القصائد التي اختصرناها ،

وانا تقدم الى الامة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر
ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشعرائه ، احياء لذكري ناظيها
الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان ﴿ محمد رشيد رضا ﴾
منشيء المنار

هذا وان أجدر الناس بالاستفادة من هذين السفرين طلاب العالم
من مجاوري الازهر وتلاميذ المدارس لا سيما الراغبون منهم في تحصيل
ملكة الكتابة وبلاغة الانشاء على انهما مما يستفيد منهما كل قارئ .
وقد جعلنا ثمنهما رخيصاً بالنسبة الى المطبوعات العصرية والى حجمهما فان
مجموعهما يبلغ زهاء ألف صفحة أو مجلدان من مجلدات المنار ولكن ثمنهما ما خمسة
وعشرون قرشاً أو اقل من نصف ثمن مجلد من المنار . و ثمن جزء المنشآت و حده
خمسة عشر قرشاً و جزء التأييد والمراتي وحده عشرة قروش على انه سترين
بأحسن صورة للاستاذ الامام . وهناك نسخ مطبوعة على ورق أجود يزيد
ثمن النسخة منها خمسة قروش . ومن يطيب نسخة مجلدة فعليه ان يزيد خمسة
قروش أجرة التجليد . أما أجرة البريد عن كل جزء فهي ثلاثة قروش

﴿ كتاب الاخلاق والسير ﴾

كتب الامام الجليل أبو محمد علي بن حزم كتابا وجيزا سماه « الاخلاق والسير في مداواة النفوس » يكاد يصدق على كلمة فيه قول بعض الحكماء : العلم الصحيح هو ما اذا سمعت حسبت اليك كنت تعرفه : تقرأ ما تقرأ منه فتشربه نفسك وتعرفه فطرتك ويحكم عقلك بأنه حكاية عن حقيقة ما عليه الناس في أنفسهم ونتائج أعمالهم وآثار صفاتهم وأخلاقهم ويلوح لحياك أنه مرآة القلوب والأفكار . ذلك أن مؤلفه لم يكن حظه منه كحظ أكثر المؤلفين : جمع وترتيب ونسخ وتويب : بل كان هو عقله وفكره وأدبه قاضت عن نفسه فوقعت على الصحف فكانت كتابا سواء منها ما هو محفوظ ومأثور وما هو مستبط ومعقول فهو اذا قل شيئا ينقله بعد ان يملكه ويقله بل بعد ان يتقضى به نفسه ويصير جزءا منها حيا بحياتها كما يصير الطعام الذي يتقضى به البدن الحي جزءا منه لا كما ينقل المتطفلون المقلدون في التأليف كلام غيرهم من غير ان يخالط عقولهم أو يمس قلوبهم قال المؤلف في مقدمة الكتاب

« أما بعد فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الايام وتماقب الاحوال بما منحني عز وجل من التهم بتصاريف الزمان والإشراف على أحواله حتى أنفقت في ذلك أكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع الذات التي تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضول المال وزحمت كل ما سبوت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله به من يشاء من عباده ممن يصل اليه بما أتعبت فيه نفسي واجهدتها فيه وأطلت فيه فكري فيأخذ عفا وأهديته اليه هنيئا فيكون ذلك أفضل له من كنوز الأموال وعقد الأملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى لاستعماله . وأناراج في ذلك عظيم الاجر لنيتي في نفع عباده وإصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل نفوسهم والله استعين »

طبع الكتاب الشيخ أحمد عمر الهمداني الأزهرى وضبط من كلمة ما رآه محتاجا الى الضبط وفسر في هوامشه ما رآه منه غريبا وصدره بترجمة وجيزة للمؤلف وجعل ثمنه قرشين فتصح لكل قارئ أن يطالعه المرة بعد المرة وهو يطلب من مكتبة المنار

(المنار ج ٤) (٣٩) (المجلد العاشر)

٣٠٦ الاسرار القدسية . هدية الرئيس للأمير (الناظر - ١٠)

(الاسرار القدسية والتفويضات الهدائية)

« تأليف الذي كان كاهنا من كهنة الروم الكاثوليك ومن الله عليه بالصيانة المحمدية وتشرف به بن الاسلام عبدالحفيظ المهدي » - أهدي ايناهذا الكتاب الجديد وعرفنا مؤلفه فانه كان قسيسا في عكا وأسلم في طرابلس أيام كنا فيها وصار من أهل الطريق وقد جاء مصر في العام الماضي بولد له يريد أن يتلقى القرآن بالروايات في الأزهر ويطلب العلم . أما الكتاب فهو في التصوف والرقائق جمع فيه كثيرا من المواعظ والآداب ممزوجة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وذكر في آخره شيئا من خبره جعله مقدمة للدعوة الى الاسلام وإثباته وذكر في هذا المقام بعض النصوص عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن كتب أخرى من كتب القوم . ونحن النسخة من الكتاب خمسة قروش صحيحة . ويعلم افطن ان في شرائه إغاثة لرجل على تعليم ولده وزر بيته في هذه البلاد التي لا مورد لها فيها

(هدية الرئيس للأمير)

رسالة في علم النفس للرئيس أبي علي بن سينا اهداها الى الامير نوح بن منصور الساماني والظاهر انها أول تصنيفه . وقد كانت قدت هذه الرسالة فلم يعرف الباحثون من الافرنج المستشرقين الانسختين منها احدهما في مكتبة (ليندن) من مملكة هولندا وهي كثيرة الغلط والثانية في المكتبة الامبروازية بمدينة ميلانو من ايطاليا وهي أمثل . ففي بعضهم بنسخها وتصحيح احدهما بالمقابلة على الاخرى ثم بالمقابلة على نسخة منها مترجمة باللغة اللاتينية في القرن السادس عشر والاستعانة ببعض كتب المصنف في الفلسفة خصوصا ما كان منقولاً عنه فهل ذلك الدكتور صموئيل لانداور الالماني صحح الرسالة وجمع اليها ما اختلف من النسخ وعلق عليها معلق من الشرح والتفسير ونشر ذلك كله في مجلة المستشرقين الالمانيين مع ترجمة المانية وجيزة بسبع لغات - العربية والعبرية والسريانية والفارسية واللاتينية واليونانية والالمانية . فلينظر أهل العربية الى عناية الافرنج بكتبهم وآثار سلفهم وليخجلوا من جهلهم واهمالهم

ثم أن أدورد فنديك المفرنس بمدرسة الحقوق (ابن الدكتور كرنيليوس فنديك الشهير) قد استخرج النسخة من تلك المجلد وقابلها بنفسه على الأصل في مكتبة ليدن ومكتبة ميلانو بعد أن وعدته شركة طبع الكتب العربية هنا بطبعها إذا هو جاء بها مضمعة بالعربية وقد وفيت بالوعد فطبعتها طبعا متقنا على ورق جيد كعادتها . وطبعت معها تلك الشروح . وقد انتقدنا تسمية اختلاف النسخ بإقترآت وما هي بقراآت وانما هي تخریفات وتصحيفات وقد وضعت بين أقواس في أثناء الكلام فكانت مما يشغل القاري لأجل الفهم ولو وضعت في الهوامش لكان أولى . وانا نشكر لكل من اشتغل بأحياء هذه الرسالة فضله

(قصة البحث)

هي قصة شهيرة من أحسن ما كتب الفيلسوف ولستوي الروسي الشهير بل هي كتاب كبير مؤلف من جزئين في علم الاخلاق والسياسة وفلسفة الاجتماع ليس فيها من معنى القصص الاسرار والمسائل والآراء في التفراميات والسياسة والآداب في سياق الوقائع المتصلة بأسلوب يلذ القاري ويبحث شوقه للقراءة . وهو يصف فيها معيشة مترقي أمته وأسراؤها وحال الفلاحين والمسجونين فيها وبرغب في توزيع الاراضي علي الفلاحين فهي من القصص التي جمعت بين الفذة والفائدة فيا ليت شبابنا يطالعونها وقد طبعا ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهي تطلب منه

ديوان حافظ

قد طبع الجزء الثاني من ديوان حافظ أفندي ابراهيم وهو أرقى من الأول نظما وموضوعا فان معظم قصائده في الأمور العامة من اجتماعية وسياسية وما في معناها كدح الاستاذ الامام (تغمده الله برحمته) وبهذا صار شعر حافظ عزيزا شريفا واشتهر في كل قطر ينبؤه أهل العربية ، ولو كان كسائر الشعراء ، لا يكاد ينظم الا في مديح الأمراء والوجهاء ، لما طار صيته في البلاد ، ورددت شعره السنة الناطقين بالضاد ، فانه وقد بذل المعاصرين تنقيها ونجرا ، لم يذم نجيلا وتأثرا ، فان شعره أقرب الى عالم الحقيقة منه الى عالم الخيال ، فلولا شرف معناه

لما سلم من الابتذال ، حتى ليعجز عن إغلاؤه الأمير والسلطان ، على استغناؤه
عن تهذيب صبري وصقل سلمان ، (٥) وهالك هذا النموذج منه الآن ،

حجج لسان حال اللغة العربية

- رجعت لنفسي فاهمت حصاتي
رموني بستم في الشباب وليتي
ولدت ولما لم أجد لعراسي
وسمت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
أنا البحر في احشائه الدر كامن
فيا وبحكم أبلى وتبلى محاسني
فلا تكلوني الزمان فإني
أرى لرجال القرب عزا ومنة
أثوا أهلهم بالمعجزات تفتاً
أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظا
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وقاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً
واسمع للكتاب في مصر ضجة
أيهجروني قومي عن الله عنهم
مرت لؤنة الافرنج فيها كما سرى
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
- وناديت قومي فاحسبت حياتي (١)
عممت فلم أجزع لقول عدائي
رجالاً واكفاءاً وأدت بناتي (٢)
وما ضقت عن أي به وعظمت
وتنسقب أسماء لمخترعات
فهل سألو القواص عن صدقاتي
ومنكم وإن عز الدواء أساتي (٣)
أخاف عليكم أن نحين وفاتي
وكم عز أقوام بهز لغات
فيا ليتكم تأتون بالكلمات
ينادي بوادي في ربيع حياتي
بما تحته من عثرة وشتات
يمز عليها ان تلين قناتي
لهن قلب دائم الحسرات
حياء بنك الاعظم النخرات
من القبر يدنني بغير أناة
فاعلم أن الصائحين نعاتي
إلى لغة لم تتصل برواة
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
مشكلة الألوان مختلفات

(٥) الكلام إشارة إلى شيء يعرفه حافظ وكثير من أدباء مصر (١) الحصة
العقل والرأي (٢) وأدبت دفنها حية (٣) الامامة جمع الآسي وهو الطيب

(العدد ١٠) قاطع الجبل - الإنسانية - كوكب أفريقية ٣٠٩

الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكتاني
فأما حياة تبث الميت في البلى وتبث في تلك الرموس وفاني
وأما ممات لا قيامة بعده ممات لمعري لم يقس بمات
(مسامرات الشعب)

(قصة قاطع الجبل) أتمت ادارة المسامرات طبع هذه القصة وهي من القصص
افريقية في ناسق حوادثها وينتهي الجزء الاخير منها (وهو السادس) ببيان سوء عاقبة
الجنة والآثمين وحسن عاقبة أهل الوفاء والاخلاص فسي أن يعتبر القارئون لما بذلك
(مجلة الإنسانية)

قد عاد الشيخ ابراهيم الدباغ الى اصدار هذه المجلة مستقلا بها فسي أن يلاقي
من الاقبال عليها ما يستحقه أدبه ويكون عوناً له ومنشطا على الارتقاء بها الى منتهى
ما يصل اليه استعداده

(كوكب أفريقية)

« جريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية فلاحية تجارية صناعية تصدر كل يوم
جمعة - مدير تحريرها السيد محمود كحول » من فضلاء الجزائر وهو يصدر الجريدة
فيها . وقد وافانا العدد الثاني منها الذي صدر في ١١ ربيع الاول فسرونا به سرورا
عظيما لأن اخواننا مسلمي الجزائر كانوا محرومين من هذا العمل العظيم - الصحافة -
فنحن نرحب بهذه الجريدة ونرجو لها من صميم أفئدتنا التوفيق للإرشاد النافع
ونحث القراء على الاقبال عليها وشد أزرها

(المنبر)

جريدة أسبوعية جديدة أصدرها في تونس محمد الشاذلي المورالي من فضلاء
الكتاب المشهورين فيها . وقد بين من سياستها في العدد الاول « هو خير سياسة
يرجى نفعا كالحض على نشر العلم بطريقه الاسلاميه والتأليف بين المسلمين في
جامع الزيتونة والمسلمين في المدارس النظامية وتحمري المباحث التي تتعلق بشؤون
المسلمين وتحمي ثلب الاعراض فنسأل الله تعالى أن يوفق صاحب هذه الجريدة لي
بخير ما قال وينفع بجهريته القارئين

باب المناظرة والمراسلة

جاءنا من الدكتور نصر اقصي فريد طيب العيون بالتصويرة ما يأتي

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

حضرة الاستاذ الفاضل

قرأت لكم في العدد الاسبق بجريدة النصار الفراء كلاما في الخمر ملخصه أنه لا فائدة منها الا ان الحجة مدرة للبول وحيث ان جريدتكم الفراء لها تأثير فعال في قوس المسلمين وجدت من الواجب علي ان لا تقوت الجريدة هذه الملحوظة

المشروبات الروحية وتأثيرها

هذه المشروبات ليس لها أدنى فائدة للصحة بل مرة الا في ظروف يمرضها الاطباء دون غيرهم في بعض الامراض والاثرفه بمقادير مميعة وضرتها على الصحة فباعدا ذلك وييل للغاية وقد تألفت جمعيات كثيرة في أوروبا لمنع المسكرات فأثرت تأثيراً حسناً وفي سنة ١٩٠٣ افرنكية وزعت بلدية باريس عند ما كنت فيها منشورات في المدينة وفي جميع الجرائد معززة بأراء نطس الاطباء بضرر هذه المشروبات فأمرض الجنون والشلل العام وامراض الكبد والكليتين والمعدة والقلب والصل أغلبها مسبب من المشروبات الروحية

اما اذرار البول الشاهد بعد شرب هذه المشروبات ومن ضمنها الحجة فهو متسبب من تهيج الكليتين واحتقانها من الكحول الموجود في هذه المشروبات واني أتأسف لا تتشار هذه الفكرة بين العوام وهي قاطيهم الحجة عند اصابتهم بمرض في الجهاز البولي فيفترون بهذا الادرار البولي الكاذب فتزداد الحالة خطارة ويفتحي الاحتقان الكلوي بالتهاب كلوي عاقبه الموت ان لم يبادر المصاب بالانتعاش عن قاطي أم الحباث والسلام

(النتار) نشكر للدكتور الفاضل مبادرته الي هذا التنبيه المفيد ومازلنا نتصح الناس بأن لا يفتروا بكلام الاطباء المقلدين أو المفتونين بزخرف المدنية اذ يأمر من يشكو معدته أو غير معدته بشرب نبيذ كذا فان اكثرهم يأخذ على هذا الفش أجرا من باعة الخمر . وقد قرأنا في الجزء الاخير من مجلة المقطف مقالة مفيدة في هذا الموضوع سنشرها في الجزء الخامس

ركتب الينا أحد أساتذة المدارس بمصر ما يأتي

اساندي المفضل السيد محمد رشيد رضا .

سلام الله عليه . وبعد فهل لي ان اطلب اليكم نشر هذه الكلمة على صفحات
النار اعلانا للحقيقة وشكرا للصادقين . سيدي أرى ان أمرك مقسم والناس فيه فرقان
فن نائب يهجن منك مخاطبة اللورد كرومر ويتمنى لو قمت عليه مع التائبين وصرفته
مع الصارمين فلم تكتب اليه شيئا ونما برمونك به انك في استهزامك منه عما يريد -
من باب الاسلام أم قشوره قد ينت له أي الاصرين بخنار وفكرت له وجوه الاختيار
من عمل الحكام بالفتوة ورجوع بعض المسلمين عن العمل به ومن تخطئة بعضهم البعض
فيه . يقولون لو غيرت هذه اللهجة . أما انا فهما يكن من الامر قائما أرى ان مولاي
الرشيد حفظه الله قد استدرج جناب اللورد الى المدول عما في تقريره وخاتله فخله
وبالواجب عمل - من كان يظن أن اللورد كرومر لا يرجع عما في تقريره في حلة
الاورا الحديثة بعد مجاملة سمو الامير له وزيارة في الوكالة البريطانية واشتداد الصحافة
المصرية في الطعن على تقريره ولكن اللورد كرومر دل على عسكه بما في تقريره واصراوه
عليه وهزوا بالمطاعن فيه في الصحافة وغيرها اذ قام في الاورا خطيبا ولم يمس
ينت شفة دحضا وقضا تلك المطاعن في الاسلام كما كان القوم يظنون ولقد كاد اليأس
من رجوع اللورد كرومر عن تلك التهم الشنيعة يستحكم في نفوسنا ويزحزح كبير
آمالنا لولا ما سحر به السيد الرشيد (سدد الله سهمه) جناب اللورد كرومر بكتابه
اليه واستدرجه الى ما يريد وقد كان وعرف العالم الاوروبي بشهادة خير منهم ان
كل تهمة توجه الى الاسلام نفسه لا نصيب لها من الصحة ولا باعث لها من مرقدتها
الاحزازات النفوس وسخائم الصدور . الا فليرفع المسلمون في جميع الاقطار عقيرتهم
بالدماء للنار وصاحبه وهانا فاعل . سدد الله النار وأطال في بقاء صاحبه أمين
(النار) قال بما قلتم وبما سمعتم كثيرون ولولا أن الجهالة عذر طبيعي للجاهل فيما ينشأ
هنا وان لم تكن عذرا شرعيا في نفسها لكان لنا أن نعجب أشد العجب لضعف ينخذ
نفسه عدوا قويا يلح عليه بان يلج في عداوته . ولا يرضيه منه أن يخرج الى صداقته
هنا وانني وان ينت في سؤالي اللورد ما أتمنى أن يجيب به تبرئة للاسلام لم أخافه
ولكنني وقتت الى تنبيهه الى شيء يتقده وحمله على التصريح به فاحمد الله على هذا
التوفيق وأشكر الرجل هذا الانصاف . وسأين العبرة في خلاف الناس بيناب
الاخبار والآراء

٢١٢ آراء الناس في مكاتبتنا مع لورد كرومر (العدد ١٠)

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَكْبَرِ

(آراء الناس في مكاتبتنا مع لورد كرومر)

من الناس من يكتب لبغوي الناس فهو يتحرى رضاهم بالحق وبالباطل فلا الحق مقصود له في ذاته ولا الباطل مطلوب له لذاته وإنما يكتب لهوى خاص هو كل ما يقصد . ومنهم من يتحرى الحق رضي الناس أم لم يرضوا وابق أهواءهم أم لم يوافقها . ولا يتبع الناس الهوى في شيء كما يتبعونه في الكلام عن الحكم والرؤساء ورجال السياسة . وأنتا ترى أهل الأهواء قد يعدون الشيء الواحد إذا صدر عن زيد نافعا وإذا صدر عن عمرو ضارا ويقول فلان قوله فيمدونه إيمانا وإصلاحا ويقول آخر فيمدونه كفرا وفسادا .

متدسنتين وأشهر نشرت عدة مقالات في بعض جرائد القاهرة في ذم الفلسفة والتعريض بمن زعموا أنه يريد إدخالها في علوم الأزهر (يعنون الأستاذ الأمام رحمه الله) وقالوا إن الأزهر مدرسة دينية محضة لا يجوز تعليم شيء فيها غير الدين وفي هذا العام أسس شيخ الجامع الأزهر بعض المناهج بقراءة فلسفة اليونان فيه فطلق بعضهم يقرأ الاشارات لابن سينا وبعضهم يقرأ كتبنا أخرى في ذلك ولم يكتب أحد بل لم يقل أحد شيئا . فلماذا كنتم ادخال الفلسفة في الأزهر منكرا دافعا إلى ذلك الاتقاد الشديد وصار تعليم الفلسفة بالفعل الآن معروفا لا ينتقده أحد .

وقد نشرت إحدى جرائد المسلمين متدسنتين مقالا لأحد الأمراء عنت فيه ينقض أصول الدين وعقائده . وكتبت جريدة أخرى لهم إن الحكم يقتل القاتل من بقايا الحمعية ، بل استبدل الحكم القوانين بالشريعة ولم يقل المسلمون شيئا ولا حركوا ساكنا بل ظلوا يعدون هؤلاء الحكم من رؤساء الدول . وقد قال اللورد كرومر في تقريره الأخير عن حال مصر والسودان كلمة في الشرية قام بها الناس وقصدوا لا ذاتها بل لأنها من اللورد كرومر . وقد أطال الرد والظن . كثير

(العدد ١٠) آراء الناس في مكانتنا مع لورد كرومر ٣١٣

من الكتاب على كلمة الرد من حيث هي كلمة ونكلم بعضهم فيها ذاتها، وبما كتب في الرد على اللورد مقالة في الرق نشرت في اللواء معزوة الى حكيم من حكماء الاسلام ولكنه لا يعرف البديهي من قواعد الاسلام اذ زعم أن الزكاة المفروضة فيه تُصرف بحكم القرآن الى المحاكم وإلى سفراء الدول وقناصلهم وفي بناء الفنادق والسياح، ولو كتب مثل هذا الكلام في المقطم لقامت عليه وعلى كاتبها قيامة اللواء وغير اللواء وعدوا ذلك أعظم جناية على الاسلام

هكذا ينظر أكثر الناس الى من قال لا الى ما قال، ولا يعرفون الرجال بالحق بل يعرفون الحق بالرجال، كلا ان اتباعهم الهوى في الرجال يصرفهم عن معرفة الحق وعن طلبه فلا يقبلونه ممن لم يوافق أهواءهم ولكنهم يقبلون الباطل ممن فتوا بهم، وصاروا موضع ثقتهم، وهذا من أكبر البلاء على الناس اذ لا ترتقي أمة منهم الا اذا كثرت المستقلون فيها بالحكم على الناس وعلى الأقوال، الذين يطلبون الحق لذاته ويعملونه هو الميزان لمعرفة الناس ومعرفة الاشياء

قال لورد كرومر قوله في الشريعة الاسلامية ققامت له جرائم المسلمين وقعدت، وأعوت وولوت، وذمت وقدحت، وأرأأت واقترحت، ثم صدر المنار فكان خيرا منه دافعا، وأشد للمخالف اقناعا، وزاد على ذلك أن ونق الى أخذ كتاب من اللورد نفسه يبري فيه الدين الاسلامي نفسه من النقد والظن ويستدل على ذلك ويصرح بأن عبارة التقرير - التي فهم منها الظن في الدين نفسه - لم تؤد مراده الذي بينه ووضعه بما كتبه الينا . فاذا قال الناس في ذلك ؟

اختلفوا فيه كما هي عادتهم فاستحسنه فريق كل الاستحسان وشكر لنا سعيانا ولورد فضله وانصافه وبائع بعض افراد هذا الفريق في الاعجاب بذلك حتى قال لنا أحد المحامين وهو ممن لا يختلف اثنان في كمال استقلاله وجودة رأيه وسعة علمه : أخبرني هل سحرت اللورد بكتابك اليه وهو لا يعرفك ام استمنت عليه بوسائط أخرى حتى نجحت في أخذ هذا الجواب الذي لا يتصور أن يخدم الاسلام بمثله في هذا الباب ؟ الخ ما قال

وذهب فريق آخر الى أنه لا يفضل اللورد في جوابه وإنما الفضل كله فيه

٣١٤ آراء الناس في مكاتبتنا مع لورد كرومر (الطبعة ١٠-)

لصاحب المنار . وقد جرت بين أحد الباشوات من هذا الفريق وأحد المشايخ الوجاء من الفريق الأول مراجعة ومحاوره بذلك في حفلة عرس في العاصمة وكان بعض الوجاء فيها موافقا لباشا وبعضهم موافقا للشيخ

وذهب فريق ثالث الى أن صاحب المنار قد أخطأ فيما كتبه الى اللورد لأنه لقنه الجواب في السؤال ، ورد عليهم بعض الناس بأن صاحب المنار قد أحسن في ذلك لأنه ورط به اللورد حتى أجابه الى ما يريد من تبرئة الدين الذي هو الكتاب والسنة وهذا هو غرضه من الكتاب . ورد عليهم آخرون بأن ما استدلل به اللورد في جوابه مؤيد بشقاربه فهو لم يستفد الجواب من السؤال وإنما جاء به من عند نفسه كما هو مفهوم من استدلاله

وقال فريق آخر إن صاحب المنار قد أخطأ لأنه كان سيئاً لهذا الكتاب الذي يميل القلوب الى اللورد حتى تراه أهلاً للشكر والتناء ونحن لانحب أن نرى منه ما يحبه الينا بل نحب ان نرى منه ونسمع عنه ما يزيد بنفضنا فيه وحقنا عليه !!! وصاح فريق آخر إن صاحب المنار لا يستحق على هذا العمل الا القذح والدم ، والسب والشتم ، والقذح والتشهير ، والتشيل والتصوير ، لأنه دافع عن اللورد الذي هو عدو الوطن والوطنيين ، وخضم الاسلام والمسلمين ، ولو كان هؤلاء يقولون ما يستقدون ، واذا ظهر لهم الحق يذعنون ، لوجدوا كثيرين يقولون لهم انكم لم تخطئون ، فان المنار ما دافع عن اللورد بل رد ما يفهم من كلامه بثلاث مقالات لم يسبقه أحد الى مثلها ثم توسل الى امتكنا به ما هو عين المصلحة للاسلام والمسلمين ، وان لم يوافق أهواء بعض المتحمسين من الوطنيين ، الذين يكرهون الحق اذا ظهر على لسان زيد ، وينفرون من المصلحة اذا جاءت على يد عمرو ، وهم لا يتبعون الا شعور الكراهة والنفور ، ولا يصيخون الا لداعي الافراط والفرور ، وأكثروا مقلدون ، لما يقوله أصحاب الصحف القالون ،

أما أصحاب الصحف المصرية فأكثرها لم يقدر هذه المسألة قدرها على عنايتها دائماً بأقل ما يؤثر عن الرجال المقام كلورد كرومر من قول وعمل حتى مالا شأن لفي المصالح العامة كالرياضة والدعوات الى الطعام أو الشاي . أما السب

(الطبعة - ١٠) آراء الناس في مكاتبتنا مع لورد كرومر ٣٦٥

الذي لأجله لم تحفل الجرائد بأمر يعد من أهم موضوعاتها وهو استدراك اللورد على عبارة في تقريره الرسمي في مسألة مهمة فهو أن جرائد الأفرنج وماعلى شاكلتها من الجرائد العربية لا ترى من مصلحتها التنويه ولا مقتضى ملئها بالشهادة للدين الاسلامي أو تبرئته من مناهضة المدنية أو مخالفتها مما ارتقت

وأما جرائد المسلمين التي كان ينتظر منها أن تنوه بذلك ونهيم به فقد اتفقنا على ظهور في وقت تحالف فيه بعض أصحابها المشهورين على إسقاط «حزب الشيخ محمد عبده» بالدم والتشهير، والقذح والتحصير، وقد أقرصوا ما يظنون من نجاحهم في إيهام الجمهور بأنهم هم الذين كانوا سبب استقالة اللورد وتغيير انكسار سياستها في مصر تغييراً مرضياً (كما يزعمون) ولهذا ترى همهم محصوراً في جمل حسنات ناظر المعارف (سعد باشا زغلول) سيئات وفي الطعن بعلومه ومعارفه وإتقانه للغة الفرنسية - هذا وهو انبغ ورجال وطنهم المحبوب بالسنتهم وأقلامهم فكيف يعترفون مع هذا لصاحب المنار بأنه أحسن صنفاً وهو من حزب الشيخ محمد عبده المحكوم عليه بالإسقاط وعدمه؟ اليس المقول من أصحاب هذا الحكم أن يحولوا الأمر عن وجهه ويحملوا الحسنة سيئة؟ بلى على أن جريد اللواء أظهرت الارتياح في هذه المكاتب كأنها كرمت نفسها أن تعترف بصحتها ثم لا تقدرها قدرها وصعب عليها أن تعترف للورد أو لصاحب المنار بمجزية فلم تخرجنا من ذلك إلا بإظهار الارتياح والشك فيما قيل ولكنها جازمت بتكذيب ما نقل عن الشيخ حسونه أفتياً تاعليه - وجريدة المؤيد نقلت السؤال والجواب ونزلت من سماها قبلت الجواب على أنه تنازل من اللورد ورجوع عن قوله الأول . وهي على كونها لم تترك اللسم أو الدغ الخفي في هذا كعادتها قد كرمت نفسها أن تعد الدفاع عن الاسلام دفاعاً عن اللورد فركته الى من لا كرامة لهم في أنفسهم ولا في أنفس أحد من العقلاء الذين يعلمون ان ذلك لم يدفع عن اللورد ضراً ولم يجلب له نقماً

وقد كتب الينا من القاهرة وغيرها في استحصان السؤال والجواب واستهجان خطة المشاغب فيه وقد اكتفينا بنشر كتاب لأحد اساتذة المدارس لأنه لم يسم فيه أحد وقد صرح بطلب نشره فليراجع في باب المراسلة

السبع والانحرافات

وَالْبَقَالِيذُ فِي الْحُجُجِ

﴿ حادثة دمياطة في طي الأرض • ثقبيل اعتاب القبور • صناديق النذور ﴾

يقال ان مسلمي مصر يتحركون الى النقي المدني الذي تعزبه الأمم ويتهمهم الأفرنج بأنهم يحاولون ان يجعلوا ترقيم إسلامياً يترج فيه الدين بالمدينة والسياسة ولو كانت هذه التهمة الشريفة صحيحة لكننا نرى مبدأ هذه الحركة من الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية ولكننا نرى بن طلاب المدينة من طريق علوم الدنيا وبين رجال الدين صلة واتفاقاً على الغاية التي يلتقي فيها الفريقان في آخر السير متحدين على أنهاض الأمة واعزاز الملة • ونحن لا نرى بينهما الا الثباين الثام وقد الثقة والتدابير على خط مستقيم • وزي أن أهل الدنيا أقوى في ذلك من أهل الآخرة فهم يجذبونهم ولا ينجذبون اليهم فلا ترى أحداً ممن ارتقى بالعلوم الدنيوية برقي ولده تربية أزهرية ولكن أكار علماء الأزهر قديرين أولادهم في المدارس الدنيوية حتى مدارس الحقوق التي يكون المتعلمون فيها قضاة يحكمون بالقوانين من دون الشريعة وقد سمت بأذني بعض هؤلاء العلماء بقول بكفر قضاة المحاكم الأهلية لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ثم هو يحاول جعل ولده واحداً منهم أو محامياً حكمه في نظره حكمهم • ولو سأت السواد الأعظم من المتخرجين في المدارس الدنيوية العالية هل يرضون ان يكون شيوخ الأزهر وامثالهم قضاة للمحاكم المدنية والجنائية وحكاماً للسياسة والادارة لقانوا لك ان البلاد تستفيث من أحكامهم في الامور الشخصية فكيف تستقيم الأمة حال اذا هم حكموا في غيرها لاسباب في الامور المالية على اختلاف فروعها الآن والسياسة على وعرة مسالكها والتواء طرقها

وكان يرجى تلافي هذا التقاطع من رجال الدين لكنهم واقفون في المضيق الذي كان فيه اشياخهم واشياخ اشياخهم والأمة متحركة بطبيعة العصر فلاهم يسبرون معها ولاهم يستطيعون إيقافها معهم ولاهم يساعدون طلاب الإصلاح على الجمع بين الدين

(النتيجة - ١٠) شيخ الازهر : حادثة دمياط . الخطوة ٣١٧

وما لابد منه لسلامة الأمة والأمة كاستقلال الفكر ، وتحصيل علوم العصر ،
انك لتحدث أهل الرأي والفكر من الطبقات المختلفة في شأن الاسلام والمسلمين
فلا تكاد ترى أحدا يرجو ان يحى . يوم يحكم المسلمون فيه بشريعتهم وهم في حال
راقبة عزيزة فيفكر في ذلك ويسعى له سعيه . أليس هذا هو البلاء المبين ؟ بلى وان
وراءه بلاء أكبر منه وهو نفور بعض الذين يتلقون العلوم المصرية من عقائد الدين
واعتقادهم انها لا تتفق مع العقل ولا يلتزم مع استقلال الفكر ولا نجاح لامة لا تعطي
العقل حقه من الحرية وتبلغ الفكر مداه من الاستقلال . وكان يرجي تلافي هذا
من العلماء أيضا بأن يجاهروا بمقاومة البدع والخرافات

كنا نتظر من الأستاذ الاكبر الشيخ حسونه النواوي حركة اصلاح جديدة
في مقاومة البدع أقوى من الحركة التي كانت في مشيخته الأولى فما زادت الا يام
الاحكة واختبارا ولكن حادثة دمياط جاءت بنقيض ما كان يتظر أو يرجي
فقد كانت هذه المسألة فرصة لاهياء سنة أو سنين وامانة بدعة بل بدع كثيرة
لا متداد الاعتناق وإصاخة الإسماع وثشرف النفوس الى ما يقوله شيخ الازهر
فيا عليه العامة من الافتتان بالذجالين وقبور الصالحين

دعي الشيخ حسن علي أحد علماء دمياط الى قراءة قصة المولد في أحد المساجد
فسمع الناس منه ما لم يعتادوا . سمعوا منه قصة ليس فيها شيء من الروايات الموضوعة ،
والا كاذب المصنوعة ، مفتحة بقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
قبل لفي ضلال مبين) فسروا بما سمعوا وانشرت صدورهم . وكان مما ذكر
في القصة خبر الهجرة الشريفة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قطع المسافة بين مكة
والمدينة في مثل المسافة التي يقطعها بها الناس فساله بعد ذلك سائل لماذا لم يقطعها
في لحظة كما يفعل أهل الخطوة من الاولياء ؟ فأجاب بأن مسألة الخطوة غير ثابتة
ولو ثبت لكان النبي صلى الله عليه وسلم حيا ، جديرا لاسيا في ذلك الوقت
الذي خرج فيه مع صاحبه عليه الرضوان مستخفين من قريش خوف اذا هم
ولكانت آية بهندي بها خلق كثير . ويقال انه سئل عن البقرة التي فيها قبر النبي

صلى الله عليه وسلم هل هي من أرض الدنيا أم من الجنة فأجاب بأنها من أرض الدنيا ولا أدري هل فسر لهم حديث الشيخين في ذلك أم لا . وسئل عن النقود التي تلقى في الصناديق التي توضع عند أضرحة المشايخ والأولياء في المساجد فأجاب بأن هذا العمل غير مشروع وأن الصدقة على البائسين والمنكوبين كأهالي المطرية الذين احترقت ببلدهم في هذا العام والبذل في الأعمال العامة كإنشاء المدارس أولى وأفضل وسئل عن تقيل أعصاب حجرات قبور الصالحين فقال أنه غير مشروع بل هو بدعة

سألت هذه المسألة الأخيرة شيخ الصندوق في ذلك المسجد من دمياط فأوعز الى خطيب من خطباء الفتنة بأن يعرض بتضليل الشيخ حسن علي ووسوس الى كثير من العوام بأن الرجل أنكر الكرامات وأهان الأولياء فقامت قيامة الفوضى عليه فسي الأمر الى الشيخ الأزهر فأمر شيخ علماء دمياط بالتحقيق فأظهر هذا الشيخ وأعدائه من التحامل على الشيخ حسن ما أظهروا حتى أنه كان يقبل شهادة الطاعنين فيه ولا يسمع شهادة المدافعين عنه (كأقيل) . ولما علمت العامة بتعامل العلماء عليه هاجت هيجاناً شديداً حتى حاولت الفتنة به غيرة وصارت ترجه بالحجارة أو الطوب اذا خرج وترجم البيت الذي هو فيه اذا لم يخرج . ثم رفع الأمر الى مشيخة الأزهر ففقد الشيخ حسونه مجلس الإدارة للنظر في ذلك وبعد النظر حكم بمنع الشيخ حسن علي من التدريس مدة سنة كاملة وقطع مرتبه من التدريس في هذه المدة . هذا ما سمع وشاع

قيل ان الحكم اداري سببه اساءة الشيخ حسن علي الى شيخ العلماء في بلده عند التحقيق وهو قول معقول اذ لو كان خطأ في بعض المسائل الدينية لحكم عليه بعد بيان غلطه له واقناعه بالصواب ان يتصرف بالخطأ السابق ويقرر الصواب في دروسه على رؤوس الأشهاد . ولكن العامة فهمت أنه عوقب على انكار ما يسمونه الخطوة أو علي الأرض للصالحين وتقيل أعصاب الحجرات التي تبنى فيها قبورهم ونحو ذلك من البدع وربما قولوا ان الأولياء تصرفوا فيه وهذا ما كنا نرجو ان يثاقوا الشيخ حسونه لأن هذه الحادثة أحسن فرجة لنصر السنة وهو البدع

بأن يظهر الحق للملأ على السنة الجرائد

الحق في هذه المسائل من البديهييات التي لا ينتطح فيها عُرْزان - اما مسألة طي الأرض وقطع المسافات الطويلة في دقيقة أو دقائق قليلة فلم يأت بوجوب الايمان بها كتاب ولا سنة ولم يقل بها أحد من الأئمة المجتهدين بل لم يكن يحظر هذا ببال السلف ولا حدث القول بذلك في الخلف استنكره بعض الفقهاء حتى قال بعضهم بأن من يعتقد جواز ذلك يكفر ويخرج من الاسلام أو يحكم ببهايته وغاوته كما صرح بذلك صاحب الوهبانية من فقهاء الحنفية بقوله فيها

ومن لوليّ قال طي مسافة يجوز جهول ثم بعض يكفر

ولا شك ان الناظم كان يعتقد أحد الوجهين الذين حكاهما عن العلماء فليكن الشيخ حسن مثله ومثل من نقل عنهم . وهذا قولهم فيمن قال بالجواز فما باله بمن يقول ان ذلك واقع بالفعل . وهب ان هذا وقع كرامة فهل يكلف من لم يثبت ذلك عنده ولم يشاهده ان يحمله عقيدة دينية له ؟ أي دين ينسج لهذا . أيتسع له دين الاسلام الذي قرر كتابه ان الله في الخليقة سنناً لا تبدل ولا تتحول وان لا حكم في الدين الا الله وما أنزل الله بهذا من سلطان

وأما مسأله تقبيل الأعتاب فهي بدعة لا سند لها من كتاب ولا سنة ولا قول إمام مجتهد وكيف وقد قال الفقهاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من السنة ان يمسّ الجدار ولا أن يقبله بل يقف من بعد ويسلم

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد القبور وتشريفها وعن الكتابة عليها وعن إيقاد السرج عليها وعن اتخاذ المساجد عليها ولعن من يفعل هذا . ومضى الصحابة والتابعون على هذه السنة فلم يبنوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا اليه ولا بنوا قبراً لأحد من المهاجرين والانصار . ولما حدثت بدعة بناء القبور كان بعض الامراء المنسكين بالسنة يهدمها كما حكاه الامام الشافعي في الأم قال : ولم أر أحداً من الفقهاء أنكر عليهم ذلك أي هدمها ؛ فهل صارت البدعة سنة وصار بناء القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها والصلاة اليها ديناً متبعاً بعد ان لعن الشارع فاعل ذلك وصار لهذه المساجد التي تبنى عليها أحكام شرعية منها ان تقبيل أعتابها مطلوب

شرعا ومنكره يعاقب ويهان ؟

وأما مسألة الروضة فالرواية فيها ضعيفة عن الشيخ حسن علي سمعته من واحد مجمل واتى مع ذلك أقول فيها قولا وجيزا . أقول ان العلماء قالوا في حديث الشيخين « ما بين يدي ومنبري روضة من رياض الجنة » ان معناه ان العمل هناك بطاعة الله يكون سببا لدخول الجنة . وقبل أنها تنقل يوم القيامة الى الجنة وقال بعضهم : أنه لما كان جلوسه (صلى الله عليه وسلم) وجلس الناس اليه يتعلمون القرآن والدين والايمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجنى فيه وأضاه الى الجنة لأنها تؤول الى الجنة : وهذا هو الصواب في تفسيره ويشهد له ما ورد في تسمية مجالس الله كبرياض الجنة كما في حديث جابر وأبي هريرة ومعاذ ولم يقل أحد ان المراد بها أن مجالس الله كبرياض الجنة لأن أرض الجنة لا من أرض الدنيا

وأما مسألة الصناديق التي توضع عند الأضرحة لاستدراار أيدي الذين يظنون أن إلقاء المال في الصندوق مناسبت قضاء صاحب الضريح لحاجة الملقى فما قاله الشيخ حسن فيها لا يستطيع أحد ان ينكره الا أولئك الاغنياء الذين يأكلون تلك الأموال بالباطل ولم يبلغنا ان الرجل نوقش في هذه المسألة فلا نبحت فيها فلم بما تقدم ان كل ما قاله الرجل حق لا وجه لمواخذته على شيء منه وهذا مما يقوي القول بأنه أُوخذ على شيء آخر يتعلق بمعاملة شيخ علماء دمياط ولكن الناس لم يعرفوا ذلك الشيء فظنوا ان شيخ الازهر وأعضاء مجلس ادارته ينكرون تلك الحقائق ويقولون بوجوب الإيمان بطي الأرض للصالحين بالفعل وتقبل اعتبار المساجد التي بنيت على قبورهم ابتداء في الدين ، وبأن إلقاء المال في الصناديق عند قبورهم أفضل من الصدقة على الفقراء والمساكين ، وإغاثة المنكوبين والبايسين . والناس في هذا الظن فريقان - فريق يعلم الحق في هذه المسائل فهو يعتقد ان الشيوخ مبطلون ، والبدع والخرافات مؤيدون ، وفريق لا علم عنده فهو يتقدم بما يظن انهم عليه . ولا ينبغي اقرار أحد من الفريقين على ظنه ظن السوء بالعلماء لذلك تقترح على الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر أن يبين للناس الحق في هذه المسائل وأنه لم يواخذ الشيخ حسنا لخطئه فيها بل لأمر آخر وله ان يكتبه فهذا وقت يجب فيه البيان ولا يصح فيه السكوت والاستاذ في فضله وترويه أهل ذلك